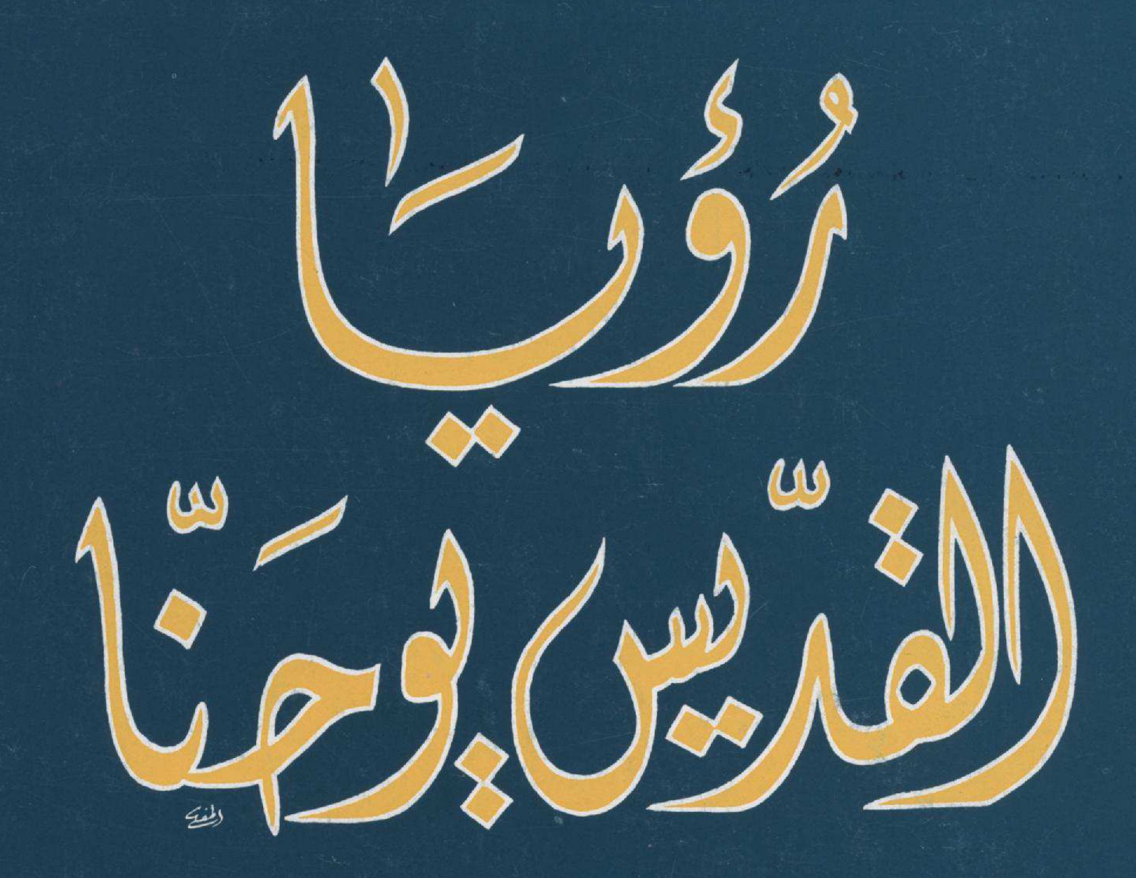


مجموعة من الباحثين



رؤيا القديس يوحنا





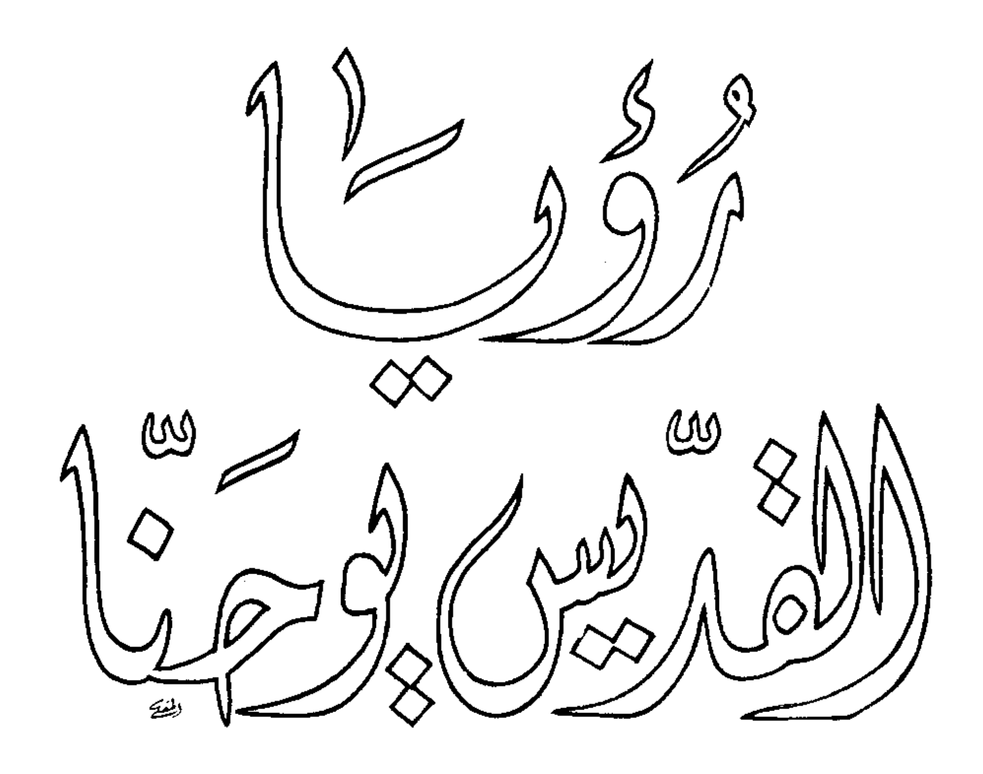
دار المشرق - بيروت



شارك في وضع هذا المؤلَّف الاختصاصيون :

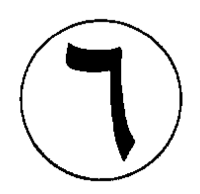
إتيان شرپنتيه ، دانيال سيسبويه

إدوار كوتنيه ، پيار پريجان



نقله الى العربية

الأب بولس الفغالي



طبعة رابعة



دار المشرق - بيروت

سلسلة **«دراسات في الكتاب المقدَّس»**

المدير: **المطران أنطوان أودو اليسوعيّ**

لا مانع من طبعه

بولس باسيم

النائب الرسوليّ للّاتين

بيروت ٣١ تموز ١٩٨٧

دار المشرق ش.م.م.

ص.ب. ١٦٦٧٧٨

الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠

لبنان

http://www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-5201-0

التوزيع: **المكتبة الشرقيّة**

الجسر الواطي - سنّ الفيل

ص.ب: ٥٥٢٠٦ - بيروت، لبنان

تلفون: (٠١) ٤٨٥٧٩٣

فاكس: (٠١) ٤٨٥٧٩٦ - ٤٩٢١١٢

Website: www.librairieorientale.com.lb
E-mail: admin@librairieorientale.com.lb
Email: libor@cyberia.net.lb

جمعيّات الكتاب المقدَّس في المشرق

ص.ب. ١١-٧٤٧، بيروت - لبنان

صدر هذا الكتاب بالفرنسيَّة تحت عنوان:

Une lecture de l'Apocalypse
Cahiers Evangile, N⁰11
Editions du Cerf, Paris 1975

قبل أن تفتح الكتاب

تأخذنا الدهشة عندما نفتح هذا الكتاب الغريب: الأسلوب والصور... فواجع ونكبات... ولكن سفر الرؤيا هو أحد كتب العهد الجديد الذي يقرأه المؤمنون كثيراً ويفسرونه خاصة في أيام الشدة والضيق. فكيف نفسر هذا التناقض؟ أما نحسّ إحساساً غريزياً بأن هذا الكتاب يحمل إلينا رسالة أمل ورجاء؟

ولكن هذا الرجاء ليس بالرخيص، وهذا الأمل لا يشبه ما تقدّمه لنا القصص الخيالية التي تدفعنا الى أن نحلم بعالم أفضل، بعد أن تُخرجنا من عالمنا اليومي. هذا الرجاء هو رجاء واعٍ يدفعنا الى أن ننظر الى السماء وما فيها من صراع والى الأرض المزروعة بالمجابهات والصراعات. هذا الرجاء مؤسَّس على أمانة الله، سيد المستقبل.

كتاب يوحنا هذا هو رؤيا. وهناك كتب عديدة تسمّى رؤيا، لأن الفن الرؤيوي (أو الجلّياني)، الذي ولد في مناخ نبويّ، ترك آثاره في بعض نصوص التوراة، ثم في نصوص منحولة دُوِّنت قبل وبعد بداية المسيحية[١] ولم تدخل في الكتاب المقدس. رؤيا يوحنا تدخل في هذا الاطار، ولكنها مؤلَّف مسيحي يختلف معناه عمّا سواه.

(١) اليك بعض العناوين: كتاب أخنوخ. اليوبيلات. وصية الآباء الاثني عشر... وكلها من القرن الثاني ق م.، مزامير سليمان، كتاب السيبيلية (أو العرافة)... في القرن الأول ق م.، انتقال موسى، كتاب أسرار أخنوخ، سفر عزرا الرابع، رؤيا باروك، رؤيا ابراهيم... في القرن الأول ب م.

١. الفن الجلّياني أو الرؤيوي

جلى، أي أظهر وكشف. والكلمة اليونانية: أزاح الستار.

بالنسبة الى الانسان اليوناني، الزمن دائري هو، بمعنى ان السنين تبدو وكأنها تدور على نفسها، معيدةً إلينا الأحداث نفسها: لا يمكن أن ينتج شيء جديد. أما بالنسبة الى ابن الكتاب المقدس، فالزمن خطوطي، بمعنى ان التاريخ يتطور ويتقدم نحو هدف محدَّد.

ويتدخل النبي في هذا التاريخ باسم الله، ورسالته أن يجعل معاصريه يعيشون في الحاضر، فيكشف لهم مخطَّط الله. ان كلمة الله التي يعلنها ترتبط قبل كل شيء بالظروف الحاضرة، وهو يهتم بالمستقبل بقدر ما يعطي معنى للزمن الحاضر، بقدر ما يسند رجاء السامعين فيذكرهم بهدف مسيرتهم، بذلك «اليوم» الذي يقيم الله فيه ملكوته على وجه نهائي. غير ان هذا اليوم يبقى خفياً، لأن ستاراً يحجب نهاية التاريخ عن أعين البشر.

في وقت الأزمة، يحسّ النبي ان الكلمات التي يقولها لا تكفي لتسند الرجاء، لأن الأزمنة قاسية، وهي تعارض ظاهرياً مخطَّط الله. ولكن الانسان يريد أن يتأكّد من «رؤية» مخطَّط الله، من «رؤية» نهاية الأزمنة هذه. فينتظر من الله أن يرفع الستار الذي يحجب النهاية. وهكذا تصبح النبوءة رؤيا[1].

ولكن، اذا كان كاتب الرؤيا يأتي بعد النبي، إلّا انه قريب من الحكماء، وهو يستوحي إلهاماً عندما يفكر بتاريخ شعب اسرائيل.

قفزة الى الأمام

كيف يرى كاتب الرؤيا آخر الأزمنة؟ يقول البعض: يرسل الله إليه الرؤى، وهذا ليس بأمر مستحيل. ولكن، حتى في هذه الحالة، نحن لا ننتظر رؤى غريبة، لأن هذه ليست طريقة الله العادية في التحدّث الى البشر. ثم أما يحصل لنا أيضاً أن نستعمل تقنية كاتب الرؤيا دون أن ندري؟ وهذه التقنية قريبة من تقنية الذي يقفز الى الأمام.

لننظر الى هذا الرياضي الذي يندفع الى الأمام، انطلاقاً من نقطة محدودة... ويعود الى الوراء خمسين أو ستين متراً، ثم يقطع هذه المسافة بسرعة، وعندما يصل الى الخشبة، يقفز في الاتجاه ذاته محمولاً بزخمه. ونحن عندما نريد أن نتخذ قراراً لمستقبلنا، أما نفعل كهذا القافز؟ نعود الى ماضينا نستجليه نقاطاً مضيئة ونحاول أن نكتشف فيه ما يوافق كياننا العميق. نعود الى قراءة الماضي فترسم هذه النقاطُ خطاً نسير فيه بالاتجاه عينه في طريق المستقبل.

وكاتب سفر الرؤيا يشبهنا. هو يجهل نهاية الأزمنة، ولكنه متأكد من أمر واحد، وهو أن الله أمين. فلكي يعرف ما سيحدث في نهاية الأزمنة، يحاول أن يكتشف كيف تصرَّف الله في الزمن

(١) التيار الجلّياني بدأ مع أنبياء الجلاء: حزقيال، يوئيل، زكريا، اشعيا ٢٤ — ٢٧، ٣٤ — ٣٥.

الحاضر. وبما انه يحتاج الى فترة من الوقت ليكتشف حركة مرسومة، فهو يعود الى التاريخ الماضي لشعبه فيكتشف طرق عمل الله. وعندما يصل الى الحاضر، يقفز الى الأمام، فيطبّق على نهاية الأزمنة طريقة عمل الله في الماضي وفي الحاضر. هذا ما فعله كاتب سفر دانيال الذي دُوِّن في وقت اضطهاد حصل سنة ١٦٥ — ١٦٤ ق م. ولكي يعرف كيف ستنتهي الأمور، جعل نفسه، بطريقة خيالية، في زمن آخر صعب من الماضي، هو زمن المنفى في بابل (٥٨٧ — ٥٣٨ ق. م.) واجتاز بسرعة التاريخ بين سنة ٥٣٨ وسنة ١٦٤، ولما وصل الى عصره، طبق على المستقبل ما اكتشفه في هذه النظرة التاريخية. هو لم يَرَ أحداثاً محدَّدة، بل طريقة الله الأمين لنفسه في إتمام مسيرة التاريخ.

ولكن كيف السبيل الى الافصاح عن هذه الأمور إلّا بالصور.

لغة رمزية

اذا أردنا أن نترجم تعابير قوية أو شعوراً عميقاً، نحس ان الكلمات عاجزة عن ذلك، فنلجأ دون تفكير الى الصور... الفن والشعر والسينما، كل هذا يذكرنا بأن الصورة توحي الينا أكثر من كلمة مجردة، ولكن بشرط أن نتعلّق بما توحيه إلينا هذه الرموز، لا بما تعنيه الكلمات بحرفيتها. عَبر الصور، نصل الى الشعور أو الرسالة التي يريد الكاتب أن يوصلها إلينا. لا شك انه من المفيد أن نتعوّد على الرموز، ولكن الأهم هو أن ندخل في حركة الكتاب.

٢. النبوءة، رؤى يهودية. رؤيا يوحنا

نريد هنا أن نقابل بين النبوءة والرؤيا، والرؤيا بنت النبوءة، وبين الرؤى اليهودية ورؤيا القديس يوحنا.

آ) باسم من؟

النبي يتكلم ويورد اسمه. يقدم نفسه على أنه شاهد الله الحي الذي يتوجه بكلامه الى الانسان في تاريخه الحاضر.

أما **كاتب الرؤيا فهو** يلجأ عادة الى اسلوب التستر، أي انه يُصدر مؤلفه باسم مستعار، أو بالأحرى يربطه باسم مشهور في الماضي. وبما ان هدفه أن يرى ما سيكون منذ البدايات في سر الله، فهو ينسب هذه الأشياء المكشوفة الى شخص يعيش في سر الله: أخنوخ الذي نُقل الى السماء، ايليا، موسى، آدم، ابراهيم... هذا يدلنا في الوقت نفسه على ان مخطط الله ثابت، وقد أعلن عنه منذ زمن بعيد لهؤلاء الأشخاص الذين يكشفونه الآن بدورهم. وبما انه من المفروض انهم هم الذين يتكلمون، فيقدرون أن يعرضوا بالتفصيل تاريخاً تمّ قسم منه.

أما **رؤيا** القديس يوحنا **فقد وقّعها** كاتبها. رفض بملء ارادته أسلوب التستّر، فأعلن عن اسم يوحنا وقدم نفسه على انه شاهد للمسيح الحي. هذا هو اللقب الوحيد الذي يقدمه لنا لكي نصدّقه. وهكذا يلتقي يوحنا وطريقة الأنبياء في اعلان اسمه ورسالته. ان كتّاب الرؤى كشفوا عن مخطّط أزلي، أمّا يوحنا فقدم لنا المسيح الآتي في تاريخ البشر.

والسلطة الوحيدة التي تؤكد صحة هذا التعليم هي سلطة المسيح نفسه.

ب) لأناس مختبرين

يلجأ النبي الى الرؤى والأعمال الرمزية، ولكنه يعبّر عمّا في قلبه بالخطب والأقوال خاصةً. انه ينقل الى الشعب كلام الله.

أما كاتب الرؤيا فمن المفروض أن يعلن أسراراً سُلّمت في الماضي الى آباء بعيدين، وهي تكشف الآن ان النهاية قريبة. ولكن ما يقوله محفوظ لأناس مختبرين، ولهذا تحل الصور محل الخطابات، وأفضل الصور أكثرها سرية.

ويوحنا يفعل الشيء نفسه، أقلّه ظاهرياً. غير ان العارف بالكتاب المقدس يرى ان الصور التي تعلن البشرى الصالحة كانت شفافة في القرن الأول المسيحي، ونحن نستطيع أن نفكّ أكثر رموزها. ولكن تبقى الصور التي تتحدّى فهمنا. وهكذا تبدو الأمور وكأن جوهر الكلام قيل بطريقة مفهومة، ثم سمح الكاتب لنفسه فتوسع في الوجهة الأخرى لتعليمه، مأخوذاً بحبه للأسلوب الجلّياني المغلّف بالسرية: كل ما لا ينيره نور الانجيل الوهّاج يمكن أن يبقى في الظلام، ولا خسارة في ذلك.

ج) رجاء لهذا العالم

يكرز النبي في زمن صعب فيبدو أحياناً تعليمه قاسياً. ولكن حتى عند أكثر الأنبياء تشاؤماً يبقى أمل ورجاء. هم يهددون، ولكنهم يحرضون الشعب على الرجوع الى الله ويدعونه الى التوبة.

أسلوب الأرقام

تستعمل الرؤى اصطلاحات رمزية إليك بعضها.

الألوان: الأبيض يدل على الغلبة والنقاوة
الأحمر يدل على القتل والعنف ودم الشهداء
الأسود يدل على الموت والكفر

الأرقام: ٧ عدد الملء والكمال
٦ (٧ — ١): عدد النقص
٣ $\frac{١}{٢}$ (نصف السبعة): النقص، الألم، زمن المحنة والاضطهاد. هذا العدد نجده في أشكال مختلفة: زمن وأزمنة ونصف زمن، ثلاث سنوات ونصف السنة، ٤٢ شهراً، ١٢٦٠ يوماً.

١٢: اسرائيل القديم، اسرائيل الجديد
٤: الكون بأقطاره الأربعة
١٠٠٠: كمية كبيرة جداً. يمكن أن نضرب هذه الأرقام بعضها ببعض، مثلاً:
١٤٤٠٠٠ = ١٢ × ١٢ × ١٠٠٠

صور تقليدية

القرن: القوة
الشعر الأبيض: رمز الى الأزلية، لا الى الشيخوخة
اللباس الطويل: الكرامة الكهنوتية
الحزام من ذهب: سلطة ملوكية

فهم بذلك يعنون ان التوبة ممكنة ، ويتوقعون أن تعود بقية الى الرب . أما النكبات التي تحصل فتفسَّر على انها عقاب من الله لأجل التوبة .

ولكن ما يغلب على **الرؤى** أساساً هو التشاؤم . «فالعالم» يتخذ معنًى سلبياً ، لأنه كله تحت سلطة الشيطان «سيد هذا العالم» . الشر يتسلّط بواسطة الوثنيين والمؤمنون يُضطهَدون ، فلا نستطيع أن ننتظر إلا شيئاً واحداً ، وهو أن يخلق الله عالماً جديداً ، أرضاً جديدة وسماء جديدة[1] . ولكن ، قبل هذا الزمان الذي يكون زمان دينونة ، نحن نلمح تدفق قوى الشر . ان الرؤى تحمل في الأزمنة الصعبة انجيلاً صفته الأساسية أن يجعل المؤمنين ينتظرون بايمان تجلّي الخلاص القريب . ويمكن أن ينتج عن هذا تهرّب من الالتزام بقضايا العالم : اذا كان الله هو من يفعل كل شيء ، فلا يبقى لنا إلا أن ننتظر ، مكتوفي الأيدي وفي الصلاة ، مجيء ملكوته .

ورؤيا القديس يوحنا لا تختلف في الظاهر عن سائر الرؤى . ففيها نجد تدفق الشر وانتظار الخليقة الجديدة ، ولكن رؤيا يوحنا مركزة كلها على المسيح ، وهذا ما يغيّر كل شيء . فتدفق الشر أمر تمّ ، والحمل يسوع ذُبح ، ولكن بيده النصر الأخير ، لأن هذا الحمل حي هو ، ويوم النصر جاء منذ زمن ، فلم يبق لنا الآن إلّا أن نضع أيدينا على الأرض المحتلة ، ومنذ اليوم يشارك الشهداء يسوع في انتصاره .

تعليم يوحنا في الأساس يحمل على التفاؤل ، لأن الله انتصر ، وهو يدفعنا الى الالتزام بقضايا العالم . كالأنبياء : اذا كانت نهاية الأزمنة قد جاءت في حدث السر الفصحي ، فلا ينبغي أن نبقى مكتوفي الأيدي ، بل أن نشمّر عن سواعدنا لنجعل ما أتمّه يسوع مرة واحدة حقيقة حاضرة في تاريخنا .

والرجاء يلقي ضوءه على الاضطهاد والألم فيصبحان عبوراً الى الحياة ، مع ما في هذا العبور من ألم . ولكي يتوصل الله الى أن يقيم ملكوته بطريقة نهائية ، عليه أن يدمّر كل ما يعارضه في العالم وفينا . يجب أن نموت لنحيا ، نموت عن طريقة حياة خاصة لنحيا من حياة المسيح . والصور المخيفة عن الزلازل والكوارث تكلّمنا : عندما يأتي الله ، تتحطم كل الحواجز . ان هذا لأمر مؤلم ، ولكنه موت من أجل الحياة ، وهو يشبه ألم المرأة التي تلد .

د) معنى التاريخ

أعلن **الأنبياء** ان لله مخططاً في الكون ، ولكنه ليس بالأمر العسير ، بحيث يزيل كل حرية أمامه . وهم ، اذ يدعون الناس الى التوبة ، يدلون بكلامهم على أن الله مستعد «لأن يرجع عن قراره» في المعاقبة . التاريخ حوار بين الله وخلائقه ، وهو تاريخ مشدود الى هدف تتوزعه عهود وسقطات وأمانات جديدة .

أما **الرؤى** فحتمية ، وكتّابها يعدّون ان كل

(١) قال كتاب عزرا الرابع وهو رؤيا غير قانونية دُوِّنت حوالي سنة ١٢٠ ب م . : «لم يخلق العلي عالماً واحداً ، بل عالمين» . وهكذا عبّر بوضوح عن هذه الثنائية : هذا العالم والعالم الجديد .

من هو يوحنا؟

كاتب سفر الرؤيا يعلن عن اسمه يوحنا ويقدّم نفسه على انه نبي. فهل هو الرسول يوحنا الذي يُنسب إليه الانجيل الرابع وثلاث رسائل؟ سؤال صعب ومعقّد.

التقليد القديم (يوستينس + ١٥٥، ايريناوس + ٢٠٠ تقريباً) يعتبر ان كاتب الانجيل هو كاتب الرؤيا. ولكن بعض الأقدمين لاحظوا اختلافاً في التعليم بين الانجيل والرؤيا فاعتبروا ان الذي كتب هذه غير الذي كتب ذاك. ولكن براهينهم لا تفرض نفسها كلياً.

لا شك في أن **لغة** الرؤيا قاسية وسقيمة، بعكس لغة الانجيل الرابع، وهذا عائد الى التلميذ الذي كتب انجيل يوحنا ورسائله والذي يختلف عن التلميذ الذي كتب سفر الرؤيا.

أمّا بالنسبة الى **التعليم**، فهناك مواضيع هامة نقرأها في انجيل يوحنا (النور، الظلمة، الحق، المحبة...) ولا نجدها في سفر الرؤيا، كما ان مناخ سفر الرؤيا الرهيب يبعدنا عن الجو الروحاني الذي نكتشفه في الانجيل الرابع. ولكن في كلا السفرين يطالعنا القول الأساسي: المسيح الناهض من الموت والممجّد هو حاضر اليوم في كنيسته، كما تطالعنا مواضيع مشتركة بين الرؤيا والانجيل، مثل الموت والحياة والشهادة والماء الحي. وهناك تطابقات ثلاثة في كلا الكتابين: يسوع هو **الحمل** الذي يذكره اشعيا (٥٣ : ١ ي) في قصيدته عن عبد الرب المتألم. يسوع هو **المطعون** الذي أنبأ به زكريا (١٢ : ١٠؛ رؤ ١ : ٧؛ يو ١٩ : ٣٧). يسوع هو **كلمة الله**.

مع كل هذا، تبقى المسألة مطروحة على العلماء. ولكن اذا أخذنا بعين الاعتبار قصة الرؤيا والانجيل ودور التلاميذ في كتابتهما، أمكننا أن نعتبر ان صاحب الانجيل الرابع هو نفسه صاحب الرؤيا.

متى كُتب سفر الرؤيا؟

يقول ايريناوس ان سفر الرؤيا كتب في نهاية عهد الامبراطور دوميسيانوس في سنة ٩٠ — ٩٦ ب. م. أما صاحب سفر الرؤيا، فيذكر انه رأى رؤاه يوم كان في جزيرة بطمس من «أجل كلمة الله» (١ : ٩ — ١٠)، أي يوم كان منفياً، يقاسم اخوته محنتهم ويثبت معهم. ثم اننا نعرف ان دوميسيانوس شنّ اضطهاداً عنيفاً على المسيحيين الذين رفضوا أن يقدموا واجب العبادة للامبراطور وأن يعلنوه «السيد»، أي «كيريوس». وهنا نفهم لماذا يشدّد سفر الرؤيا على الاحتفاظ بهذا اللقب للمسيح.

وهناك مقطع من سفر الرؤيا (١٧ : ٩ — ١١) يلمح الى الأباطرة الرومان، فيجعل زمن تكوين الكتاب في الفترة اللاحقة لاضطهاد نيرون (حوالي ٦٥ — ٧٠). هل يمكننا أن نعتبر أن قسماً من الكتاب دُوِّن في تلك الفترة، أم أن نحسب ان الكاتب جعل نفسه بطريقة خيالية في تلك الفترة؟

شيء كتب في الأسفار السماوية، فلم يعد منذ الآن مكان للصدفة والحرية، حتى في زمن الاضطهاد.

أما يوحنا فهو قريب من الأنبياء، وهو مثلهم يحرّض ويهدّد. وهو لا يصوّر مخططاً قيد التنفيذ ولا رجوع عنه، بل مسيرة البشر مع الله الذي يرافقهم ويحدثهم وينتظر منهم جواباً. وفي هذه المسيرة، يحتل شعب الله مكاناً مميزاً.

اذاً نرى ان مؤلّف يوحنا هو رؤيا، وهو يدخل

في إطار أدبي معروف، ولكنه يختلف عن سائر الرؤى، فيقترب تعليمه من تعليم الأنبياء. ان يوحنا لا يطلق على نفسه إلّا لقب «نبي»، والسبب في ذلك هو انه، بين الرؤى اليهودية و بين رؤيا يوحنا، كان حدث بدّل كل شيء، وهذا الحدث هو موت يسوع وقيامته. نهاية الأزمنة، يوم نصر الله، كل هذا صار وراءنا. لا شك انه يبقى لنا أن نعمل كل شيء. ويوحنا، اذ يدعونا الى الاتحاد بهذا السر الفصحي، يحرضنا على العمل والالتزام لإنجاح عمل المسيح. فالذي أتمه يسوع سيشحذ انتظارنا لمجيئه الأخير. فالروح والعروس يقولان: «تعال أيها الرب يسوع». ولكننا نستطيع أن نلتزم برجاء لا يتزعزع، لأن كل شيء تم في يسوع المسيح.

٣. مفاتيح تساعدنا على الدخول في سفر الرؤيا

هل هناك أسلوب بسيط لتفسير هذا الكتاب المعقّد؟ هل هناك مفتاح واحد يساعدنا على الدخول الى غوامضه؟ هناك مفاتيح تقودنا الى أبواب مزيفة، وهي التي أخذت بها الشيع. على كل حال، ما من مفتاح يكفي وحده، بل هناك مفاتيح توصلنا الى عوالم مفيدة، وكل المفاتيح تساعدنا على الولوج في سر هذا الكتاب:

الأحلام الالفية

نقرأ في ٢٠: ١ — ٦ عن مُلك المؤمنين مع المسيح مدة ألف سنة قبل النصر الأخير. فتخيل بعضهم رجوع المسيح رجوعاً منظوراً على الأرض قبل عودته الثانية. هذه الطريقة في تفسير الرؤيا تفسيراً حرفياً ما تزال حية عند بعض الناس اليوم. سوف نرى فيما بعد أن مُلك الألف سنة هو فترة مميزة من تاريخ الكنيسة، فترة خاصة، أو هي الفترة التي تمتد من مجيء المسيح الأول الى مجيئه الثاني.

نظام الجمع والاجمال

نحس في سفر الرؤيا اننا أمام أمور تتردد وتعاد. فلو لم يكن بين أيدينا إلا الفصول الأحد عشر الأولى، لما تخيلنا انه ينقصنا شيء. هذا مفتاح نحتفظ به: الأحداث المصورة لا تُجمع بعضها الى بعض بطريقة زمنية. فالحدث نفسه يعود إلينا، ولكن بطريقة مختلفة.

نظام التاريخ الشامل

فكر بعض الشرّاح ان يوحنا يصوّر لنا مسبقاً كل مراحل التاريخ البشري حتى نهاية الكون. ولكننا سنتبيّن سريعاً خطأنا بعد قراءة هذا التفسير. فعندما نتتبع تقدم التاريخ، لا بدّ من إعادة الحسابات لتكون مضبوطة. فانطلاقاً من أرقام دانيال والرؤيا مثلاً، أنبأ شهود يهوه بنهاية هذا العالم الشرير سنة ١٩١٤، والسبتيون سنة ١٨٤٣، ثم في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٨٤٤ بالضبط...

أما يوحنا فهو لا يريد أن ينبئ بأحداث محددة، بل أن يساعدنا على اكتشاف المعنى الذي تأخذه الأحداث بالنسبة الى اقامة ملكوت الله.

كيف نفهم؟

أمام لوحة غير تصويرية، لا نطرح السؤال: ماذا تمثل هذه اللوحة؟ فمثل هذه اللوحة تقدم لنا رسالة وعلينا أن ندخل في جو هذه الرسالة بواسطة الألوان، لأننا لا نستطيع أن نعبّر عن شعورنا بالكلمات. فيُطلَب منا، لا أن نقرأ، بل أن نرى. حين ننظر الى لوحة تصور دمار مدينة بعد مرور الطائرات فوقها، ندخل في ألم عالم حطمته ارادة الانسان الشيطانية. هذا هو موقفنا أمام هجوم الفرسان الحمر، علامة الدم، أو الأخضر علامة الوباء، أو أمام الوحش برؤوسه السبعة.

النظام الاسكاتولوجي

يقول أصحاب هذا الافتراض ان يوحنا يتكلم على مجيء يسوع فقط، وهو يعتبر أن هذا المجيء قريب جداً (الاسكاتولوجية هي نهاية الأزمنة).

لا نستطيع أن نأخذ بهذا الافتراض بطريقة دقيقة، ولكن الفكرة العامة مهمة. فالمؤرخ يدرس الحاضر تبعاً للماضي... والأنبياء عامة وكاتب الرؤيا خاصة يفسرون الحاضر تبعاً للمستقبل، لأن الأحداث الحاضرة لا تتّخذ معناها الحقيقي إلّا اذا حسبنا حساب النهاية، اذا حسبنا حساب المجيء الثاني. ان يوحنا يدعونا الى أن نفك لغز معنى تاريخنا الحاضر على ضوء حدث مضى هو قيامة يسوع، وعلى ضوء حدث آتٍ هو مجيئه الثاني وعودته.

الرجوع الى التاريخ المعاصر ليوحنا

وقالوا: ان يوحنا يقدم لنا بالصور تأملاً في أحداث زمانه، فتعرّف الشرّاح، من خلال الرموز، الى أباطرة القرن الأول المسيحي والى الاجتياحات والثورات التي حدثت في ذلك الوقت.

لا شك اننا أمام ادراك حدسي للأمور، ونحن نأخذ به، شرط أن لا نحاول أن نفسّر كل تفصيل نقرأه. ان يوحنا يقدم لنا في قسم أول الانتقال من اليهودية الى المسيحية (ف ٣ — ١١) وفي قسم ثان (ف ١٢ — ٢٠) خراب العالم الوثني.

التحليل الأدبي

يفترض بعض الشرّاح ان يوحنا كتب نسختين أو أكثر لسفر الرؤيا، ثم مزج هذه النسخات بعضها ببعض، وهذا ما يبرّر وجود ترددات في الكتاب.

يمكننا أن نقبل، دون أن نشك بالاختبار الروحي الذي اختبره يوحنا، انه عاد الى نصوص سابقة كتبها هو أو غيره. ولكن هذه النصوص صارت جزءاً من كتابه الذي هو عمل موحّد ورؤيا مسيحية.

الرؤيا والعهد القديم

كانوا يقولون : اذا أردت أن تختبر معرفتك للعهد القديم فاقرأ الرؤيا . فهناك كما قلنا ايرادات وتلميحات عديدة الى العهد القديم سنحاول هنا أن نتبين مميزاتها .

يبدو ان الكاتب يعود مباشرة الى النص العبري ، لا الى الترجمات اليونانية المعروفة .

الايرادات الكتابية ليست دقيقة . فيوحنا يستلهم الكتاب بحرية ويفسر النص باتجاه مسيحي : يبسط النصوص ليستخرج منها الوجهات الهامة . اذا قرأنا الرؤيا الأولى لحزقيال (ف ١ — ٢) مثلاً ، نكاد نغرق في التفاصيل . أما يوحنا (٤ : ١ ي) فاستخرج بعض السمات الأساسية وأعطاها أبعاداً شاملة لا نجدها في الأصل .

ونتوقف على خطتين متميزتين .

استعمال النص الواحد بطريقتين مختلفتين. أخذ حزقيال في رؤيته الأولى كتاباً أعطاه الله إياه ليبتلعه (حز ٢ / ٨) . أفاد يوحنا من هذا النص بطريقتين . في رؤية أولى (٥ : ١ ي) ، رأى كتاباً لا يجب أن يُبتلع ، بل أن يُفتح . فالكاتب لا يشدّد على الأصل الالهي للتعليم الذي يقدّمه النبي ، بل على قدرة الحمل الذي يستطيع وحده أن يفتح الكتاب الذي يمثل ولا شك العهد القديم . في رؤية ثانية (١٠ : ١ — ١١) يُرغَم يوحنا على ابتلاع كتاب صغير (هو تعليم المسيح) فيشدّد على مفعول هذه الحلاوة والمرارة التي يثيرها هذا الابتلاع[1] .

المزج بين النصوص العديدة. رؤ ٢٢ : ١ — ٣ مبنية على أساس حز ٤٧ : ١ ؛ زك ١٤ : ٨ ؛ تك ٢ : ٩ : «وأراني الملاك **نهر مياه الحياة** صافياً كالبلور (ينبع) من عرش الله والحمل. **وفي وسط** الساحة وعلى (ضفتي النهر) **شجرة الحياة** (تثمر اثنتي عشرة مرة) ، كل شهر مرة ، وتشفى (بورقها) **الأمم** الوثنية. **لا لعن بعد اليوم**» .

الكلمات بين قوسين من حزقيال الذي رأى في المستقبل شعب الله الذي تجدّد بصورة عجيبة بهذه المياه التي هي الروح القدس . واستعاد يوحنا كلمات سفر التكوين (بالأسود) فصوَّر هذا العمل بأنه خلق جديد لنستطيع فيه أن نتذوق ثمار الخلود ، ومزج مع هذه النصوص نص زكريا فأعطى لهذه النبوءة بعداً شاملاً لم نجده عند حزقيال ، فأعلن بذلك ان الحياة تعطى لجميع الأمم .

نرى في هذا المثل معرفة يوحنا للكتاب المقدس : أدرك الدقائق العميقة للنصوص المتفرقة فأعاد خلقها من جديد ليبيّن ، في مؤلف ينفحه روح واحد من أوله الى آخره ، كيف ان الكتاب المقدس يجد كماله في يسوع المسيح .

(١) راجع الكأس في ار ٥١ : ٧ وكيف يستعيدها يوحنا في ١٧ : ٤ و١٨ : ٦ . راجع أيضاً قياس الهيكل والمدينة في حز ٤٠ — ٤٨ وكيف يفيد منه يوحنا في ١١ : ١ و٢١ : ١٠ .

الأسلوب المقارن

يحاول بعضهم أن يفسّر الرؤيا فيقارن رموزها برموز أخذ بها معاصرو يوحنا. ليس من المستحيل أن يرجع يوحنا الى صور اسطورية انتقلت إليه من الفولكلور المعاصر.

ولكننا نقارن خاصة سفر الرؤيا بالعهد القديم فنكتشف معنى الصور. فكل آية تقريباً تتضمن ايراداً من الكتاب أو تلميحاً إليه، من اشعيا الى ارميا وزكريا وحزقيال، من الخروج الى المزامير وسائر الكتب. سنشير الى النصوص الرئيسية عندما نقرأ سفر الرؤيا، ولقد حاول أحد الشرّاح أن يقدم لوحة بهذه الايرادات فجاءت لوحته في ١٧ صفحة.

ويمكننا أن نختتم كلامنا فنقول: تبدو الرؤيا قراءة مسيحية للعهد القديم هدفها أن تلقي ضوءاً على كامل تاريخ الكنيسة (راجع نظام التاريخ الشامل) حتى نهاية الأزمنة (راجع النظام الاسكاتولوجي) وبالأخص على حدثين مأسويين في المسيحية الأولى (راجع نظام التاريخ المعاصر). الأول: انفصال المسيحية عن عالم اليهود الذي رفض أن يؤمن. الثاني: التقاء المسيحية بالأمبراطورية الرومانية الكافرة والمضطهدة لشعب الله.

توالي النصوص في سفر الرؤيا

اجتمعنا في احدى الحلقات وأخذنا نجول في رحاب سفر الرؤيا وتساءلنا إلى من يتوجه هذا الكتاب. قال أحدهم: هذا السفر دُوّن لجماعة من المواهبيين ينادون في الوقت نفسه بالثورة واللّاعنف. وقال آخر: نحس ان هؤلاء الناس سعداء عندما يصلون. فالكتاب من بدايته الى نهايته مليء بالأناشيد، وهو يشبه كتاب القداس، وهو يتضمن أيضاً نشيد «قدوس، قدوس، قدوس».

العظة التي فيه لا تشبه تلك التي اسمعها في رعيتي... بالنسبة إلى هؤلاء الناس، السلطة وحش دموي يجب ألّا نخضع له... هؤلاء الناس ثوريون ولكنهم لا يدافعون عن نفوسهم، لا بل يفرحون إن قُتلوا.

وطال الحديث فاكتشفنا بعضاً من جوانب الكتاب الذي صار فجأة قريباً منا.

عبادة الله أو عبادة الامبراطور

قال القديس بولس: اخضعوا للسلطات. وقال يوحنا: هذه السلطات وحش شرير. ما الذي حدث خلال الخمس عشرة سنة التي تفصل الرسالة الى أهل رومة عن سفر الرؤيا؟

مع يوحنا، نحن في نهاية حكم الامبراطور دوميسيانس. كان الرومان قد اعتادوا أن يؤلهوا أباطرتهم بعد موتهم أو خلال حياتهم. امّا دوميسيانس فأطلق على نفسه لقب «السيد والله». فالعبادة والسجود، الواجبان للأمبراطور كما لله، صارا العلامة المميزة للمواطن الصالح، وبالتالي الوسيلة الوحيدة لحياة عادية والشرط الضروري لممارسة بعض الوظائف أو القيام بالأعمال التجارية. أجل، أرادت الامبراطورية أن توطّد سلطتها، فدعت الناس الى ايديولوجية من نمط الهي. وهكذا وجد المسيحي نفسه أمام خيار لا مساومة فيه: أو انه يقبل أن يعيش ككل انسان فيؤدّي فروض العبادة لقيصر، أو أنه يرفض هذه الصنمية فيعيش كخارج على القانون ويستعد للاستشهاد في كل وقت.

نقدم نظرة شاملة لسفر الرؤيا

مقدمة : ١ : ١ — ٣
العنوان ١ : ٤ — ٨

١. كنيسة بشرية ١ — ٣
رؤيا ابن الانسان ١ : ٩ — ٢٠
رسائل إلى الكنائس السبع ف ٢ — ٣

٢. كنيسة تواجه مشاكل عصرها

آ) **الكنيسة تنتقل من أمة اسرائيل الى سائر الأمم**
ف ٤ — ١١

حلت الكنيسة محل اسرائيل. ولكن اسرائيل القديم لم يُرذل كله، اذ ان بقية (المؤمنون الحقيقيون بالله في اسرائيل) ستكون نقطة انطلاق الكنيسة.

هذا الاعتبار عن اسرائيل يتوسع في نهاية الكتاب في رؤية ترسم أمامنا اقامة مملكة الله في الكون كله.

١. ليتورجيا حول العرش ف ٤ — ٥

رؤيا الرب سيد التاريخ ف ٤.
الحمل المذبوح يفتح كتاب السبعة ختوم (العهد القديم) ف ٥.
ويصوّر لنا يوحنا الانتقال من اسرائيل الى الكنيسة بشكل مشهدين متوازيين.

٢. الختوم السبعة ٦ : ١ — ٨ : ٥ (رؤية في السماء)
الختم ١، ٢، ٣، ٤ = فرسان ٦ : ١ — ٨
الختم ٥ شهادة العهد القديم ٦ : ٩ — ١١
الختم ٦ بُعد كوني ٦ : ١٢ — ١٧

٣. الأبواق السبعة ٨ : ٦ — ١١ : ١٩ (على الأرض)
البوق ١، ٢، ٣، ٤ : هتافات ٨ : ٦ — ١٣
البوق ٥ الضربة الأولى ٩ : ١ — ١١
البوق ٦ الضربة الثانية ٩ : ١٢ — ٢١

الكتاب الصغير (الانجيل) ف ١٠
(قبل دمار اورشليم انطلق المسيحيون يبشرون الوثنيين، وهكذا نحن هنا امام تسبيق للقسم الثاني).

ب) **الكنيسة تواجه قوى التسلط ف ١٢ — ٢٠**

١ . **المرأة والتنين ١٢ : ١ — ٦**

ان هذه الرؤية تقدم لنا السر بمجمله : الكنيسة تلد المسيح على الجلجلة .
لقد تمجد يسوع وقهر الشيطان ، فحاول هذا أن يسيء الى الكنيسة خلال مسيرتها على الأرض ، لكن الله يحميها . الرؤى السماوية تتوسع في هذا المشهد الاجمالي .

٢ . **القوى الحاضرة ١٢ : ٧ — ١٤ : ٥**

تبرز أمامنا على مستويين اثنين :
«في السماء» : ميخائيل والتنّين ١٢ : ٧ — ١٨
الصراع بين الله والشيطان يظهر عملياً على الأرض
«على الأرض» : صراع بين قوى يحركها الشيطان وبين المؤمنين التابعين للحمل .

- **الوحشان وخدامهما**

وحش البحر ١٣ : ١ — ١٠
(الممالك المتسلطة)
وحش الأرض ١٣ : ١١ — ١٨
(الايدولوجيات العاملة في خدمة الممالك المتسلطة)

- **الحمل والذين يتبعونه**

١٤٤٠٠٠ ، ١٤ : ١ — ٥

٣ . **اعلان الدينونة ١٤ : ٦ — ١٩ : ١٠**

آ) **اعلان انجيل الدينونة ١٤ : ٦ — ١٣ .**

دمار بابل

راحة للمؤمنين

البقية الموضوعة جانباً ١٤٤٠٠٠
الخلية الأولى للكنيسة ٧ : ١ — ٨
وتتّسع الرؤيا ٧ : ٩ — ١٧
جمهور المختارين في النهاية
الختم السابع (صمت نصف ساعة) ٨ : ١

دمار اورشليم سنة ٧٠، ١١ : ١ — ٢
اسرائيل يُطرح خارجاً
وتتّسع الرؤيا ١١ : ٣ — ١٤
الشاهدان
البوق السابع ضربة ثالثة ١١ : ١٥
تابوت العهد

٣. كنيسة نازلة من السماء ف ٢١ — ٢٢

مشهد الكنيسة، أورشليم السماوية، نازلة من السماء. كنيسة الأرض في وجهها المتجلي.
انتهى الخروج والعبور وانفتح الفردوس. «الله معنا». الأعراس الأبدية للحمل وللكنيسة.

في هذا الاطار، تتّخذ الهتافات الليتورجية في سفر الرؤيا كامل معناها، وفيها يعلن المؤمن أن الله هو الرب وحده وان له وحده المجد والقدرة. هذه الهتافات هي صرخة الايمان، وهي في الوقت نفسه صرخة المقاومة العنيفة بوجه سلطة كليانية تتجاوز كل الحقوق. وهكذا أصبحت الليتورجيا التزاماً في خدمة الحرية.

من الشهادة الى الاستشهاد

الشاهد هو الذي يخبر بما شهده، وهو الأمين

ب) آلام وانتصار المؤمنين

حصاد (كل المؤمنين) وقطاف (الشهداء) ١٤ :
١٤ — ٢٠.

اناشيد النصر ينشدها المخلّصون ف ١٥.

ج) دمار رومة وبابل

الكؤوس السبع ف ١٦

الزانية ف ١٧

د) نشيدان يحتفلان بما حصل

رثاء بابل ف ١٨

نشيد المختارين الظافرين ١٩ : ١ — ١٠

٤. نصر المسيح النهائي ١٩ : ١١ — ٢٠ : ١٥

يبرز المسيح امامنا على مستويين اثنين

«في السماء» : هو المحارب المنتصر بدمه ١٩ :
١١ — ٢١

«على الارض» : الالف سنة من تاريخ الكنيسة
ف ٢٠

في شهادته. والشهيد يقوم بشهادة الحق في أمر الله، وهو القتيل في سبيل الله. في سفر الرؤيا، ننتقل من معنى الى آخر، من الشاهد الى الشهيد، وعلى كل مسيحي أن يشهد (يعلن ويخبر) للايمان في العالم، وفي بعض الظروف تصبح الشهادة استشهاداً وموتاً في سبيل الله.

هل تحمل الرؤيا بذور الثورة؟ اذا فهمنا بهذا الكلام الرغبة في انقاذ حرية الانسان الأساسية، أي حرية الروح، فهذا الكتاب ثوري هو. ولكنه لا يبغي الدفاع عن الحرية بالاستيلاء على السلطة.

وبما أن الحرية لا تعرف الحدود، فهو يعرض على كل انسان أن يعيش حيث هو كانسان حر. ومقاومة المسيحيين، وان بدت بدون جدوى في وجه سلطة الامبراطور، إلّا انها ستنقلب في النهاية على المملكة الكليانية.

ولكن هذه القوة ليست قوة الرواقي الذي يجد في نفسه شجاعة لتحمّل الالم والشقاء وحرمان الحياة. فالمسيحي الذي يقبل الاستشهاد يعرف انه يماثل ربه الذي أدّى امام بيلاطس «احسن شهادة» (١ تم ٦: ١٣). يستطيع المسيحي ان يواجه الموت بسلام وهو يعرف انه، ان شارك المسيح في موته، فسيشاركه في انتصاره.

اتحاد بالرب الحاضر في التاريخ

هؤلاء المسيحيون يؤمنون بأن الرب سينتصر في نهاية التاريخ. وفي هذا المعنى، نحن امام رؤيا. ولكنهم يعرفون انه في العبادة، وبالاخص في المعمودية والاوخارستيا، الرب حاضر وهم يتحدون به. في هذا المعنى، نحن امام كتاب ليتورجيا. ونحن نفهم لماذا يُخرج يوحنا هذين الفنّين الادبيين اللذين يختلفان ظاهراً. كل ما ننتظره، كل ما يكشفه الله لنا في المستقبل نتذوقه مسبقاً في العبادة الليتورجية. وحينئذ تصبح الليتورجيا محرك التزامنا في العالم. فاذا كان النصر واقعاً فاعلاً في قلب المؤمن، فالمؤمن يجنّد كل قواه ليصل بهذا النص الى نهايته.

والمسيحي يعرف انه مدفوع في زخم بدأ في تاريخ بني اسرائيل. يسوع هو المسيح وكلمة الله وحمل الله، وعمله مرسوم بشكل خلق جديد وخروج جديد. هذا يعني ان يسوع استعاد في شخصه كل تاريخ شعب اسرائيل وقاده الى كماله. وفي يسوع تصبح حياة المسيحي خروجاً وعبوراً من الموت الى الحياة عَبرَ برية يقوته فيها الله، فتكون منذ اليوم دخولاً الى الفردوس الحقيقي.

سنبدأ الآن قراءة سريعة لسفر الرؤيا، وهناك قراءات أخرى ممكنة، ونحن لا ندّعي اننا سنحل كل المشاكل المعقدة والمطروحة في هذا الكتاب الصعب، بل في كل فصل من فصوله وسطر من سطوره. نريد فقط ان نرسم بعض الخطوط العريضة ونكتشف بعض الوصلات بين الفصول والمواضيع الهامة، فندعوك معنا الى المغامرة.

هناك عناصر اتفق عليها الشرّاح، وهي تأتينا بالاطار الاول. بعد الرؤيا الاولى (ف ١)، تكوّن الرسائل الى الكنائس السبع (ف ٢ — ٣) قسماً جانبياً. في ف ٤ وما يليه من فصول تتطرق الى كنيسة تواجه المشاكل اليومية، يشكل في ١٢ عودة الى بدء لا بد من اخذه بعين الاعتبار. اما الفصلان الاخيران فيقدمان لنا كمال التاريخ.

ونلاحظ ايضاً سباعيات عديدة: سبعة اختام (ف ٦ — ٧)، سبعة ابواق (ف ٨ — ١١)، سبع كاسات (ف ١٦)، سبع تطويبات (١: ٣؛ ١٤: ١٣؛ ١٦: ١٥؛ ١٩: ٩؛ ٢٠: ٦؛ ٢٢: ٧؛ ٢٢: ١٤).

ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار اسلوب «الورق الشفاف» الذي يلجأ اليه الكاتب مراراً. فالخطوط المرسومة على هذا الورق لا تكشف معناها إلّا اذا وُضعت على رسم. هكذا يعرض لنا يوحنا الاحداث

نفسها على الارض وفي السماء[1]. فنحن لا نجمعها كما لو كانت احداثاً تتعاقب في الزمن، بل نضعها بعضها فوق بعض لنكتشف في الرؤيا السماوية معنى احداث الشر. وهكذا فالابواق السبعة تقدم التحقيق التاريخي لما تعطي الاختام السبعة معناه.

(١) السماء، حيث تم الرؤى، ليست مسكن الله، وفيها الشر المتمثّل بالتنين والوحشين. السماء هي القسم الخفي لهذا العالم الحاضر الذي لا تصل إليه عين الانسان العادي.

المقدمة ١ : ١ — ٣

هذه الآيات الثلاث الاولى تشكّل مقدمة الكتاب وخاتمته ، لاننا سنقرأها مرة ثانية في ٢١ : ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١٦. نحن اذاً امام كشف تقبّله يسوع المسيح من الآب ونقله إلينا . أراد أن يبيّن لنا ما سيحدث قريباً وسريعاً (٤ : ١ ؛ ٢٢ : ١٦) ، ان يرينا احداث نهاية الازمنة. ولكن ، بما أن هذه النهاية قد بلغت الينا في يسوع ، فالمسيحي يشارك فيها ، وبالاخص من خلال طقوس العبادة . وهكذا يرينا سفر الرؤيا المعنى الخفيّ للأحداث . يسوع ، الشاهد الامين ، ينقل هذا الكشف الى يوحنا ، ويوحنا ينقله بدوره الينا لنحفظه. وهكذا يبدو الايمان المسيحي شهادة تتأصّل في الله وينقلها البشر بعضهم الى بعض.

١ . كنيسة مؤلفة من بشر ضعفاء ف ١ — ٣

يبدو هذا القسم الاول من سفر الرؤيا بشكل رسالة موجهة الى سبع كنائس في آسيا الصغرى (تركيا الحالية) ، وهذه الكنائس تشبه جماعاتنا اليوم في صراعها مع القداسة والخطيئة. سبع كنائس موقعها على طريق البريد الرئيسية . ولكن عندما نقرأ الرقم ٧ ، نتنبه الى ان يوحنا ينظر من خلال هذه الكنائس الى الكنيسة الجامعة ، تلك الكنيسة الموجودة والمجسّدة في التاريخ ، كنيسة القرن الاول وكنيسة القرن العشرين.

١ . العنوان ١ : ٤ — ٨

ان تعليم يوحنا يجد جذوره في صميم الثالوث الاقدس ، وكل من الاقانيم الثلاثة يرتسم امامنا من خلال الرموز الفنية.

فالاسم المطلق على الله يتوسع في ذلك الذي نقرأه في سفر الخروج (٣ : ١٤) . يهوه هو الكائن والذي كان والذي يأتي (١ : ٨ ؛ ٤ : ٨). انتظرنا ان نقرأ «سيكون» بدل يأتي ، ولكن الفعلين الاولين يجعلان الله في أزليته من حيث انه يسمو على الزمن ، والفعل الثالث (يأتي) يُدخله في تاريخنا. ليس الله خارج الزمن ، بل هو اله يخاطر بنفسه من اجل شعبه ، يسير معه ، يلتقي به ويكشف عن نفسه . في مواضع اخرى ، تطبق عبارة «انا آتٍ» على يسوع ، فالله يأتي الينا في شخص ابنه.

الارواح السبعة ، اي **الروح القدس** بوجوهه السبعة (تلميح الى اش ١١ : ٢ — ٧) تدل على ملء الروح القدس الذي هو نور شديد وبهاء الله المشعّ في الكون (٤ : ٥).

امّا **المسيح** فيطيل يوحنا رسم صورته : يستعيد ثلاث عبارات مأخوذة من مز ٨٩ : ٢٨ ، ٣٨ ، كان العهد القديم قد طبقها على المسيح الملك ، فطبقها على يسوع المسيح : أظهر يسوع في موته انه «الشاهد الامين» والذي صار بقيامته «بكر المائتين» وملك ملوك الارض. اذاً هو وحده الرب والسيد وله يخضع الاباطرة الذين يدّعون الالوهة.

ثم يُجمل يوحنا عمل المسيح من اجلنا لانه احبنا ، احبنا اليوم فكان حبه فعلاً دائماً بالنسبة الينا . ويعود الى العهد القديم ، وبالتحديد الى سفر

الخروج (١٩ : ٦)، ليرسم لنا صورة عن عمل المسيح هذا. كان شعب الله مملكة لانه يخص ملك الكون، ومملكة كهنة لانه يعمل عمل الوسيط بين الله والامم. والمسيحيون هم مملكة لأن المسيح يملك عليهم، بل لانهم يشاركونه في ملكه، وهم كهنة إن قبلوا ان يضحّوا بحياتهم ليعبدوا الآب وحده.

يسوع يأتي كابن الانسان للدينونة كما أنبأ به دانيال (٧ : ١٣)، وكالملك المطعون كما اعلنه زكريا (١٢ : ١٠). يرد النص الاخير في انجيل يوحنا ايضاً (١٩ : ٣٧) : فمشهد المسيح المطعون لاجل خطايانا هو دعوة الى المؤمن القارئ لانجيل يوحنا لكي يتأمل، وتنبيه الى الذين يرفضون ان يؤمنوا حين يقرأون سفر الرؤيا.

وينتهي العنوان بمشهد الله الكلي القدرة الذي هو بداية ونهاية كل شيء (اش ٤٤ : ٦). كل التاريخ يدخل في حاضر الله الازلي.

هذا هو اطار سفر الرؤيا. وسط مصاعب الحياة ومواجهة القوى المتسلطة، يجد المسيحيون انفسهم مدفوعين الى ان يختاروا فيكونوا مع هذه القوى أو مع الرب. ولكنهم في كل زمان يعرفون كيف يربطون ايمانهم ويقينهم بشيء ثابت : الله هو الله وهو الرب وحده. في ابنه احبّنا وخلّصنا. في ابنه وبواسطة روحه نستطيع ان نرفع من جديد نحو الآب سجود عالم خُلق ليمدح الله.

٢. مشهد ابن الانسان ١ : ٩ — ٢٠

يوحنا هو، كالانبياء في القديم، مدعو الى رسالة. يسمّي نفسه : «يوحنا اخوكم». انه نبي وسيتكلم الى جماعة انبياء، وهو يقاسمهم وضعهم المسيحي الذي هو أن يعيشوا «في يسوع».

اختطفه الروح وامسكه. هذا يعني ان الوحي الذي ينقله الينا له طابع يفوق الطبيعة. ولكن هذا لا يدلّنا كيف نقبل هذا الوحي. امسك به الروح ففهم فهماً سرياً ونبوياً حقائق سماوية وكائن الكنيسة الحقيقي. اختبر «يوم الرب». هذه هي المرة الاولى التي تظهر فيها كلمة الاحد، اي اليوم الذي فيه نحتفل بانتصار المسيح الفصحي وباعلان مجيئه النهائي. هذه الاشارة تساعد على اعطاء سفر الرؤيا وجهه الليتورجي.

المسيح الذي يكشف عن نفسه ليوحنا ليس يسوع الذي عرفه الرسل قريباً منهم خلال حياته العلنية، بل ابن الانسان الممجَّد الآتي في نهاية الزمن. والصور المأخوذة من التقليد الجلّياني تقدم لنا يسوع على انه «ابن انسان» دانيال الذي أُدخل قرب الله ليأخذ منه قوة الديان وسلطانه. ولكنه الله واليه تُنسب بعض ملامح الله : الشعر الابيض، قوله انا الاول والآخر. هو كاهن وملك (الثوب الابيض، حزام الذهب)، وهو الديان بنظره الثاقب، وازلي وثابت (الشعر الابيض، رجلان من نحاس). الكنيسة (المنائر السبع، الكواكب) هي في يده، وكلمته مثل سيف مسنون للدينونة.

يتكلم المسيح فينسب الى نفسه لقباً أطلق عليه. أنا هو (يهوه)، أنا الأول والآخر. أنا الحي. فالله في العهد القديم هو الحي. ولكن، عندما نتحدّث عن يسوع الحي، فنحن نعني انه انتقل من الموت.

نحن نكتشف هنا مجهود المسيحيين الأولين للتعبير عن كرازتهم لسر القيامة بلغة يفهمها الناس.

في هذا المشهد أدرك يوحنا حقيقة يسوع الرب والديّان العميقة. وهو يعرف ما سيكون بعد ذلك. ان التاريخ هو الموضع الذي فيه تتحقق سيادة المسيح، وهي تسير الى كمالها.

٣. الرسائل الى الكنائس السبع ٢ — ٣

كل رسالة من هذه الرسائل مبنية بحسب رسم واحد.

— اسم الكنيسة.

— المسيح الذي يرسِل يُسمَّى كل مرة باسم ذكرناه في المشهد الأول.

— المسيح يفحص ضمير الكنيسة فيكشف فضائلها ونقائصها ويدعوها الى التوبة.

— المسيح يعد المنتصر بعطاء خاص.

والعبارة نفسها تختم كل رسالة: مَن كان له أذنان، فليسمع ما يقول الروح للكنائس. فالمسيح هو الذي يتكلم، غير ان كلماته منسوبة الى الروح. أما قال يوحنا في انجيله ان الروح يُفهم التلاميذ ما قاله لهم يسوع؟

لن نشرح هذه الرسائل ولكننا نتوقف على وجهتين:

الحياة اليومية آية وعلامة

يلمح فحص الضمير غالباً الى واقع أو حدث من حياة الجماعة، فكأن المسيح يدعوها الى تقبّل نداء خاص من خلال حياتها اليومية.

— **افسس** مدينة كبيرة تعد ٢٥٠,٠٠٠ نسمة. هي أولى مدن مقاطعة آسيا، وهي مدعوة لتكون الأولى في الايمان.

— **برغامس** هي عرش الشيطان، وفي هذا تلميح الى عبادة الأمبراطور التي اشتهرت بها المدينة، أو الى عبادة الاله الشافي اسكولابيس. في كلام يسوع دعوة الى برغامس لتعترف باسم يسوع، لا باسم الامبراطور.

— **ازمير** (سميرنة). كان الكتّاب الأقدمون يحتفلون باكليل ازمير، أي مجموعة الأبنية التي تحيط بقمة المدينة، ولكن اكليل الحياة الحقيقي يعطيه يسوع وحده.

— **سرديس** أخذها المحتل على غفلة، مرات كثيرة، وهو المسيح يأتيها كلص وسارق. وسرديس كانت مركزاً لتصنيع الصوف، لهذا حدّثها يسوع من خلال رمز الثوب الأبيض.

— **لاودكية** (لاذقية تركيا)، اشتهرت بغناها وبمياهها المعدنية الساخنة وبمدرسة الطب التي يصنعون فيها كحلاً للعيون. ولكن المسيح حكم عليها انها فقيرة وعمياء.

مجيء المسيح في شعائر العبادة

عندما نعدّد الهدايا الموعود بها الى الغالبين ونجعلها في اطار الكتب اليهودية والمسيحية، نكتشف تلميحات الى الحياة الليتورجية.

يوبّخ الروح **افسس** لأنها تركت «حبّها» الأول. الغالب سيعطيه المسيح أن يأكل من شجرة الحياة الموجودة في فردوس الله (٢ : ٤، ٧). فخيانة هذه الكنيسة تعيد الى أذهاننا السقطة الأولى، سقطة آدم في الفردوس. أما الغالب فسيدخل من جديد ليذوق ثمار الخلود، وهذا أمر ينتظره الكتّاب اليهود في نهاية الأزمنة. أما الكتّاب

المسيحيون فهم ينظرون الى شجرة الحياة هذه التي تقدّم ثمارها للمؤمنين بواسطة الأسرار.

في **ازمير** يعد الروح باكليل الحياة. يمكننا أن نفكر بالمكافأة الممنوحة للغالبين في حلبة السباق. ولكن النصوص المسيحية تجعل من الاكليل رمز الخلاص المحفوظ للمختارين. وفي بعض طقوس العماد القديمة، كانوا يهبون المعمّد اكليلاً.

المن الخفي الموعود به في **برغامس** يعود بنا الى فكرة قديمة في اليهودية: المن الخفي سيوزعه من جديد المسيح الملك في العالم الجديد، والى تفسير مسيحي يرى فيه الأوخارستيا (يو ٦ : ١ ي). وسيُعطى الغالب حصاة بيضاء كُتب عليها اسم جديد. هو اسم الله واسم المسيح. هو اسم الرب الذي طُبع به المختارون والمئة والأربعة والأربعون ألفاً (٢٢ : ٤؛ ١٤ : ١). أمام المختارين، يقف الذين يحملون اسم الوحش أو عدده (١٤ : ١١؛ ١٣ : ١٧). والحال ان الاعتراف بيسوع رباً كان يتم في المعمودية. وبما ان المعمّد يتلفظ باسم يسوع، دعيت المعمودية «ختماً». واذا قابلنا كل هذا بالنصوص المسيحية، نستنتج ان الغالب يأخذ المن الحقيقي ويجد في الأوخارستيا طعامه الأخير. وعلامة المسيح واسم الرب المطبوعان عليه كختم في عماده يميّزانه عن الآخرين تمييزاً نهائياً.

ويطبق الكاتب المزمور الثاني على غالب **تياتيرة**، فيعلمنا ان المسيحي الذي يقبل بأن يعبر الموت مع المسيح يشارك المسيح أيضاً في ملكه على العالم. وهذا الملك قد بدأ الآن فعلاً بواسطة الأسرار. فالكوكب المذكور هنا وفي ٢٢ : ٦ يدل على المسيح: يقدّم نفسه للمؤمن وهذا ما يجعلنا نفكر في عطائه في الأوخارستيا.

— الثوب الأبيض المعطى **لسرديس** تذكره طقوس العماد كصورة عن الخلاص الذي هيأه الرب لخاصته: خلاص نهائي (٦ : ١١) أُعطي له في هذا السر.

— نجد اكليل **فيلدلفيا** والاسم الجديد. ولكن الاسم هنا يجعل من المسيح عموداً في هيكل الله ومواطناً في أورشليم الجديدة، أي الكنيسة.

— وأخيراً، ان الموهبة التي وعد بها المسيح **اللاذقية** تعود الى مقطع من نشيد الأناشيد (٥ : ٢). في الليتورجيا الفصحية المسيحية الأولى، تنتظر الكنيسة رجوع ربها وتعرف انه قريب. **فهي** كعروسة نشيد الأناشيد تعرف خطواته وتسمعه يدق

— هل نسمع وقع خطاك؟
فأنت تقرع بابنا.
وأمامنا بهاء وجهك.
— هل نسمع صوتك
الذي يمتد كلاماً
ويدخل باب الانسان العتيق؟
أمامنا صورة الاله الخفي
— هل ندعوك الى مائدتنا
فتأتي وتجلس بيننا؟
أمامنا ذلك الداخل
وعينانا تنفتحان
فتعرفانه عند كسر الخبز.
— نعم. تعال سريعاً
آمين. تعال أيها الرب يسوع!

على الباب. لهذا السبب نراها تحتفل بسهرة الفصح كل سنة بطريقة احتفالية خاصة. وسيأتي يوم يجب علينا فيه أن تفتح له سريعاً، إلّا انه منذ الآن يأتي، وفي الوليمة الأوخارستية هو هنا وهو يأكل مع خاصته.

تطرقنا الى هذه الأمور بسرعة، ولكن إن توقفنا على هذه الفصول، وجدنا محاولة لتفسير شعائر العبادة المسيحية. واذا قابلنا بين ف ٢٢ وهذه الوسائل، وجدنا تقارباً واضحاً ووجدنا أيضاً فرقاً واحداً: تتطلّع الرسائل الى الاحتفالات التي تنظمها الجماعات، أمّا ف ٢٢ فيتطلع خاصة الى العشاء الأخير، الى الفصح الأخير الذي فيه يأتي المسيح بطريقة نهائية كديّان ومخلّص. ولكن منذ الآن نحن مدعوون في شعائر العبادة الى مائدة الرب حيث يقدّم نفسه لنا.

٢. كنيسة تواجه مشاكل عصرها ف ٤ — ٢٠

سفر الرؤيا وحي مُعطى للكنيسة، فتكتشف به معنى تاريخها: تاريخ يحضر فيه المسيح المنبعث والقاهر، تاريخ فيه تصب قوى الشر جام غضبها بواسطة القوى البشرية.

القسم الأول: بيّن لنا أن يوحنا لم يوجه كلامه الى كنيسة من عالم الخيال، بل الى جماعات موجودة في آسيا الصغرى، الى جماعاتنا المعجونة بالجسد والخطيئة والحب.

واذ نفتتح القسم الجلّياني بالمعنى الحصري في الكتاب، سنرى بصورة أفضل هذه الكنيسة تواجه بصورة خاصة حدثين هامين في الكنيسة الأولى: انفصال المسيحية عن العالم اليهودي الذي رفض أن يؤمن، ولقاء بعالم الامبراطورية الرومانية المتسلطة والكافرة والمضطهدة.

آ) الكنيسة تنتقل من شعب اسرائيل الى الشعوب الوثنية ف ٤ — ١١

بكى يسوع على أورشليم التي لم تعترف بمسيحها، وأعلن ان الله سيترك الاهتمام بكرمه ليهتمّ بأمة أخرى (مت ٢١ : ٤٣) وانه سيجعل من الوثنيين شعبه. وعرفت الكنيسة انها هي هذا الشعب الجديد. ولكن هذه المعرفة طرحت عليها سؤالاً هاماً: بعد أن نبذها العالم اليهودي الرسمي، أية علاقة لها به بعد الآن؟ أين أمانة الله الذي ألزم نفسه حيال شعبه؟

في هذا الجزء الأول، يدلنا يوحنا ان الكنيسة حلت محل شعب اسرائيل، ولكن اسرائيل القديم لم يُرذل كله، لأن هناك بقية، أي الأمناء الحقيقيون لله الذين تعرفوا الى يسوع، فصاروا نقطة انطلاق الكنيسة. فالكنيسة التي وُلدت من اليهودية طلب إليها أن تنفتح على الوثنيين. ولهذا، اذ يتطرق يوحنا في هذا الجزء الى العلاقات بين الكنيسة وشعب اسرائيل، فهو يوسّع رؤياه ليدلنا على ملكوت الله والمسيح المقام في العالم كله.

ويستطيع يوحنا أن يأخذ بيدنا، لأنه دعي كموسى الى أن يصعد الى السماوات، أي الى أن يدخل في قلب تاريخنا الخفي، وأعطي له أن يشاهد الله والحمل.

١ . الليتورجية حول العرش ٤ : ١ — ٥ : ١٤

الله لا يدرَك : نحن لا نراه ، ولكننا نستشف حضوره وقدرته . عبر لمعان البروق وتلألؤ الحجارة الكريمة ووسط المجد[١] الذي يحيط به ، نرى عرشاً . ستتردد كلمة عرش أربعين مرة بقلم يوحنا . وهذا ما يعزي المؤمن ، حين يعرف ان فوق عروش الأباطرة والقوات التي تطلب العبادة ، ينتصب عرش الله . وعلى العرش واحد . هذا كل ما نعرفه .

ولكن الليتورجيا التي تحتفل به تقول لنا ما هو بالنسبة إلينا . هناك مجموعتان تعبدانه : الأربعة والعشرون شيخاً والحيوانات (أو الأحياء) الأربعة . من هم هؤلاء؟

الشيوخ هم رجال ، لا ملائكة ، يرمزون الى قديسي العهد القديم ، وقد رأى فيهم المسيحيون آباءهم في الايمان (رج عب ١١ — ١٢) . هم أربعة وعشرون ، لأنه بحسب ١ أخ ٢٤ : ٣ — ١٩ ، ٢٥ : ٦ — ١٣ هذا العدد هو العدد اللازم لتنظيم شعائر العبادة .

الأحياء الأربعة[٢] يأتون من سفر حز ١ : ١ ي ، وهم يرمزون الى العالم . أن يكونوا وسط العرش وحوله يعني ان الله ليس في السماء بعيداً ومفصولاً عن الأرض . الله موجود في قلب عالمنا المخلوق .

الكون كله والبشرية المقدسة التي يمثلها آباؤنا في الايمان يعبدون الله فيكشفون لنا حضور إله به يرتبط وجودنا .

وأمامه يشتعل في كل وقت لهيب **الروح** المسبّع الأشكال .

ولكن هناك شخصاً نحس بحضوره ، وان لم نكن قد رأيناه حتى الآن . هذا الحضور سيفرض نفسه انطلاقاً من كتاب[٣] مختوم بسبعة ختوم . كتاب لا يقدر أحد أن يفتحه أو يفهم مضمونه . انه العهد القديم ، ومضمونه يبقى مختوماً مغلقاً الى أن يأتي يسوع (٢ كور ٣ : ١٤) .

وأعلن شيخ ان مسيح الكتب المقدسة يستطيع وحده أن يفتح الكتاب . أعلن لنا عن أسد يهوذا ... فإذا نحن أمام **حمل مذبوح** يراه يوحنا في قلب الله والكون والبشرية المقدسة .

كلمتان تكفيان لتذكّرنا بسر الفصح كله : المسيح هو الحمل الذي قدم ذبيحة ليخلصنا (اش ٥٣) ، وهو أيضاً من قطع العهد الحقيقي مع الله بدمه (فصح الخروج وخميس الأسرار) . هو المسيح الذي أنبأ به الأنبياء ، وهو يختلف عنه كثيراً . هو يقهر ، ولكن لا بالسلاح . هو مجيد ، ولكن بالصليب . تلك كانت الرؤيا التي قدمها الانجيل الرابع : انتصر الحمل يوم صعد على عرش الصليب .

(١) هناك من يترجم «قوس قزح» بدل «مجد» . وهكذا يلمّح النص الى تك ٩ : ١٢ — ١٧ ويدلنا ان الله يبقى أميناً لوعد قطعه مع البشرية في شخص نوح .

(٢) منذ القديس ايريناوس ، رمز الأحياء الأربعة الى الانجيليين الأربعة .

(٣) ليس هذا الكتاب مثل كتبنا ، بل بشكل رق ملفوف على ركن ومختوم بالشمع .

ويظل على عرش الله ذلك الحمل المذبوح والحامل في بشريته المتجلاة آثار آلامه. يعرف المسيح انه انسان منتصب ومجروح، ولكنه شفي من جراحه.

الكون (الأحياء) والبشرية (الشيوخ) يمكنهم أن ينشدوا نشيداً جديداً، لأن كل شيء يجدّد في يسوع المسيح. والملائكة والخلائق جميعاً تحمّسوا فدخلوا في جو هذا المديح الشامل.

* * *

وتفتح أمامنا سلسلتان من الرؤى التي تبدو غامضة. ونتذكر شيئين. الأول: ليس من الضروري أن نصل الى معاني كل الصور. الثاني: المهم أن ندرك التعليم المرسل إلينا. يستعمل يوحنا الورق الشفاف. فالختوم السبعة (٦ — ٨) تلقي ضوءها على الأبواق السبعة (٨ — ١١) فنكتشف معناها العميق.

٢. الختوم السبعة (٦ : ١ — ٨ : ٥)

فُتحت **ختوم الأربعة** الأولى فأثارت حملة من الفرسان: أربع أفراس بألوانها، وأربعة فوارس[١] رمزية تنبئ، دون أن توضح، بأربع مصائب: الحرب، الجوع، الوباء، الموت.

وفُضّ **الختم الخامس**، فإذا نحن أمام اضطهاد ديني نراه «من السماء»: يطالب الشهداء بإلحاح أن تأتي عدالة الله. فالألم شك والرجاء ليس استسلاماً. الشهداء هم شهداء العهد القديم الذين يُطلب منهم أن ينتظروا أن ينضم إليهم الشهداء المسيحيون (مت ٢٣ : ٣٢ — ٣٦).

وفُضّ **الختم السادس** على توقف الشر على مستوى الكون. أمام نداء الشهداء الى الله، يختبئ العالم الشرير أمام غضب الله.

كل هذه الآفات تستعيد صوراً نبوية من ارميا وحزقيال واشعيا وزكريا، فتعلن عقاب اسرائيل الخاطئ. ولكن قسماً من هذا الشعب ظل أميناً لله، فكان البقية الحية التي تصير خلية يولد منها الشعب الجديد.

البقية وُضعت جانباً (٧ : ١ — ٨)

وخُتم بختم الله مئة وأربعة وأربعون، اثنا عشر من كل القبائل التي تمثل اسرائيل المثالي[٢]. وُلدت الكنيسة من الشعب اليهودي، ولكنها منفتحة على كل البشر دون تمييز في العرق واللون.

جمهور المختارين في نهاية الأزمنة (٧ : ٩ — ١٧)

نحن هنا أمام رؤية نهاية العالم وسنقرأ عنها فيما بعد (٢١ : ٣ — ٤)، فشعب الله الكبير الذي اجتمع بلباسه المبيض بدم الحمل، والمتحد بالملائكة والشيوخ والكون، ينشد نشيد شكر العالم المخلّص.

(١) يناقش الشرّاح مدلول الفارس الأول. على رأسه تاج وفرسه بيضاء، هل يدل على المسيح أم على أحكام الله؟ ولكن يبدو انه يحمل الشر، فهل يدل على روح أهل الفتوحات أو المسحاء الكذبة الذين أنبأ بهم المسيح؟ (مت ٢٤ : ٤ — ٥).

(٢) مربع ١٢ تضربه بألف يدل على جماعة لا تحصى.

يمكننا أن نتوقف هنا، بعد أن قال لنا يوحنا كل شيء. ولكنه يستعيد المشهد نفسه فيدلنا، بكلام خفي وعبر صور ساطعة، أن هذا هو الشيء الذي يحدث في أيامه.

ولما فُضّ **الختم السابع**، حدث ترقب: كان صمت دام نصف ساعة، **فحمل معه قلقاً مكبوتاً**. ثم أخذ الممثلون أماكنهم: السبعة ملائكة الذين يقفون أمام الله، كما تقول التقاليد الكتابية (طو ١٢ : ١٥)، أخذ كل واحد منهم بوقاً، وبدأ الليتورجيا ملاك آخر: أصعدت نار المذبح نحو الله بخوراً، هو صلوات القديسين، فانتشر على الأرض علامة غضب الله.

٣. **الأبواق السبعة** (٨ : ٦ — ١١ : ١٩)

نفخ الملائكة في الأبواق **الأربعة الأولى** فحلّت النكبات بالأرض.

أمّا الأبواق الثلاثة الباقية، فيعلن عنها نسر يقول ثلاث مرات: ويل. هذا الصراخ المرعب الذي يلعلع بعد كل صوت بوق يذكر المؤمنين بأحداث معاصرة.

البوق **الخامس** يثير الجراد الجهنمي الذي أنبأ به يوئيل. يمكن أن يفكر يوحنا بالهجات الفرتية أو بالقلاقل في فلسطين على أيام الحاكم فستوس، إلّا انه يشدّد بالحري على القوة الشيطانية التي تحرّك هذه القوى الحربية. هو يسميها خراباً، وفي العبرية «أبدون». ثم ينقل الكلمة الى اليونانية فتصبح «أبوليون»، فيقاربها بطريقة تهكمية باسم «أبولون» الاله الوثني.

البوق **السادس** الذي يجلب فرسان الهول ينطلق من هجمة سستيوس التي دمرت كل شيء. مع كل هذه النكبات المصوّرة بصور مقولبة، يبدو اننا في اطار عقاب الشعب اليهودي الذي رفض أن يؤمن. ولكننا نتساءل هنا، كما فعلنا في الختم السادس: هل دُمّر كل بيت اسرائيل؟ حين لمّح يوحنا الى دمار أورشليم سنة ٧٠ ب. م.، أشار الى أن قسماً منها نجا (١١ : ١ — ٢) فُولدت كنيسة وصلت شهادتها الى أقصى العالم والتاريخ (١١ : ٧ — ١٤. الشاهدان).

ولكن، قبل هذا، يرد حدث **الكتاب الصغير** (ف ١٠)

هناك كتاب عرفنا فيه العهد القديم، وهو يهيمن على القسم الأول. على ماذا يدل هذا الكتاب الجديد؟ انه صغير، ولكنه أهم من الأول. والملاك الذي يحمله يتحلى بصفات هي صفات المسيح بالذات (وجهه كالشمس رج ١ : ١٦؛ حوله سحابة ١ : ٧؛ ١٤ : ١٤، ١٥، ١٦). ساقاه كعمودين تذكّرانا بالآية ١ : ٥١، أو بالله القدير (١٨ : ٨) يحيط به المجد (أو قوس قزح) مثل عرش الله (٤ : ٣).

يختص تعليمه بسرّ الله الذي يتم قبل أن يُنفخ في البوق السابع، اذاً قبل نهاية التاريخ (١٠ : ٧). اذاً هو انجيل (١٠ : ٧، رج ١٤ : ٦).

كل هذا يدل على ان هذا الكتاب الصغير يشير الى تعليم المسيح. انه صغير، لأنه لا يتوسّع إلّا في جزء من تعليم العهد القديم الذي يهمه أولاً أمر اليهود وثانياً أمر الوثنيين. أمّا هذا الكتاب فلا يهتمّ إلا بالوثنيين.

هذا الحدث يشكل تنصيباً جديداً ليوحنا كنبي ، نتصوّره انطلاقاً من دعوة حزقيال وارميا. القسم الأول (ف ٤ — ١١) اهتم بعلاقة الكنيسة باليهودية ، والقسم الثاني (ف ١٢ — ٢٠) سيتطلع الى علاقة الكنيسة بالعالم الوثني. ان الكتاب أظهر براعة فأدخل هنا قبل أن يُنهي القسم الأول تسبيقاً ، هو تبشير الوثنيين ، ليدل على أن شعباً جديداً أخذ محل الشعب الاسرائيلي.

قسم من الوقت جانباً (١١ : ١ — ٢)

كُلّف يوحنا أن يقيس هيكل الله. نحن هنا بلا شك أمام رمز الى الشعب اليهودي. فقسم منه ، أي «الهيكل والمذبح والساجدون هناك» ، يقاسون ، وهم اليهود الأمناء لله. سيدخلون في الكنيسة فيقابلون ١٤٤,٠٠٠ الذين نجوا ، كما في ٧ : ١ — ٨.

«أما الساحة الخارجية فأرمِها خارجاً». نفهم هذا النص ، اذا قابلناه بمقطع الخطبة الجليانية حيث ينبئ يسوع بأن أورشليم ستدوسها أقدام الأمم الوثنية الى أن يتم زمان الأمم (لو ٢١ : ٢٤). ويوحنا ينبئ بأن آلام الشعب اليهودي غير المرتدّ ستدوم ما دام زمان الأمم ، أي الى وقت اقامة ملكوت الله في كماله. ولكن كيف ننظر الى اليهود الذين «رُموا خارجاً»؟ انهم ، وإن كانوا خارج المسيحية ، فهم بشكل من الأشكال داخل الملكوت : هم في الخارج وهم في الداخل ، لأن ديانة المسيح ، رغم جدّتها ، امتداد وتتميم لديانة العهد القديم. ديانة شعب اسرائيل هي كالساحة الخارجية لهذا الهيكل الذي هو الكنيسة المسيحية. ولكن رفض اليهود أن يؤمنوا بالمسيح سيجعلهم خارجاً بطريقة نهائية. ومنذ ذلك الوقت صاروا خارج الملكوت بطريقة نهائية كاملة.

ولكن اذا كانت الكنيسة قد ولدت من الشعب اليهودي الصريح ، فيجب أن تمتدّ شهادتها لتصل الى نهاية العالم. وسّع يوحنا نظرته لتشمل تاريخ الكنيسة في ٧ : ٩ — ١٧ ، وها هو يقدّم لنا النظرة نفسها في حدث الشاهدين.

الشاهدان (١١ : ٣ — ١٤)

المشهد غير واضح ، وسنعود إليه فيما بعد. ان كرازة الشاهدين ومصيرهما الأليم وانتصارهما النهائي ، كل هذا يرسم أمامنا عمل ومصير كل شهود المسيح خلال زمان الكنيسة وحتى رجوع يسوع ، والكنيسة تبدأ فتقدم هذه الشهادة الى الشعب اليهودي غير المؤمن. ولكن للمشهد بُعداً شاملاً ، وأورشليم ترمز الى العالم كله.

بعد هذا ، ينفخ الملاك في البوق **السابع** ، فيعلن عن إقامة ملكوت الله بصورة نهائية ، والشيوخ يحتفلون بهذا الحدث. فُتح الهيكل السماوي ، وظهر تابوت العهد : يروي سفر الخروج (ف ٢٢). ان موسى بنى التابوت بحسب المثال السماوي ، وانتظر المؤمنون نهاية الأزمنة ليظهر هذا التابوت السماوي مرة ثانية ، وها هو الآن. وهكذا يقدر كل المؤمنين أن يدخلوا في قدس الأقداس ، حيث لم يدخل إلا رئيس الكهنة ومرة واحدة في السنة. قلب الديانة اليهودية صار الآن مفتوحاً للجميع ، بعد أن أُعطي لهم حضور الله التام الناجز.

قادنا القسم الأول من سفر الرؤيا الى التمام والكمال ، ومع ذلك سنبدأ سلسلة أخرى من الرؤى

تعالوا يا مباركي أبي
لأن جوعكم سيزول
وعطشكم سيتلاشى
لا شمس تحرقكم بنارها
لأني أنا الحمل الجالس بالمجد
أفتح لكم ينبوع ماء الحياة
وها الآب يمسح
كل دمعة من عيونكم ،
ما كنتم شعباً في ما مضى
وأنتم اليوم شعب الله .
من أجلك يا رب
ننفجر فرحاً .
عيدنا أمام وجهك
وجه تسولناه حين غنينا لك .
أنت الهنا وسيدنا
ونحن ، نحن لك
شعب مرعاك
القطيع الذي تقوده يمينك .
فملك العالم
أعطي للرب ولمسيحه
ملكوتاً لدهر الدهور
آمين .

بها يستعيد يوحنا الوحي نفسه انطلاقاً من حدث مأسوي ، وهو مجابهة الكنيسة للممالك الوثنية المتسلطة .

ب) الكنيسة تواجه القوى المتسلطة
(ف ١٢ — ٧٠)

أرادت الرسائل الى الكنائس أن تهيّئ المسيحيين للمحنة المهولة التي رآها يوحنا تقترب . هذه المحنة تتوضح الآن ، وهي الاضطهاد الذي تقوم به الأمبراطورية الرومانية . ستجد الكنيسة نفسها في مواجهة مع دولة متسلطة ، ومجبرة على الاختيار بين عبادة الرب يسوع وعبادة « الرب » قيصر .

هذا القسم الثاني من سفر الرؤيا يبدو معقداً . سنحاول أن نتبيّن الخطوط الكبرى دون أن نعتبر أننا شرحنا كل شيء ، فنرى تطوراً ألمحنا إليه فيما سبق ونعود إليه الآن .

١ . المرأة والتنين (١٢ : ١ — ١٦)

هذا المشهد الرائع هو معروف وقد قدّمت له الشروح الكثيرة ، ولكن هناك توافقاً على الشرح الذي نقدمه .

ثلاثة أشخاص يحتلون مسرح الأحداث : المرأة والتنّين والولد . **الولد** هو المسيح تدل عليه تسمية المزمور الثاني . **التنين** هو الشيطان (آ ٩) . **والمرأة**؟ فكّر الشرّاح بمريم التي ولدت يسوع في بيت لحم ، ولكن النص الكتابي لا يتحدّث عن ولادة بالألم ولا عن دور الشيطان . ثم يبدو مدهشاً أن ننتقل حالاً من الميلاد الى الصعود . ويتوضح الأمر عندما نرى في هذه الولادة تنصيب يسوع مسيحاً ممجداً في قيامته . في هذا الوقت من حياة يسوع ، يرى العهد الجديد تحقيقاً لما قاله فيه المزمور الثاني . هذا ما قاله

بولس الرسول في خطبته في انطاكية (اع ١٣ : ٣٢ — ٣٣)، أو في بداية رسالته الى أهل رومة (١ : ٤). ووقت القيامة هو الوقت الذي فيه شن الشيطان على المسيح حرباً حتى الموت. فكّر أنه «ابتلعه» على الصليب، ولكن الله ألغى هذا النصر الظاهر حين مجّد ابنه.

ولكن نعود الى السؤال: من هي هذه المرأة؟ يبدو أنها تمثّل شعب الله. فالعهد القديم والنصوص اليهودية علمتنا تجسيد الشعب بشكل امرأة. أنشد اشعيا أورشليم المزيّنة بضياء الله فقال: «لا تغرب شمسك من بعد وقمرك لا ينقص» (اش ٦٠ : ٢٠). ويعلن النبي نفسه ان الله يعطي لهذه المرأة أن تلد عالماً جديداً (اش ٦٦ : ٧). واستعاد يسوع هذه الصورة في خطبته بعد العشاء السري فأعلن لتلاميذه ذهابه القريب، وتابع: «ستبكون وتنوحون وأما العالم فيفرح. ستحزنون ولكن حزنكم سيتبدّل فرحاً. تحزن المرأة اذا أخذها المخاض، لأن ساعتها حانت. فإذا ولدتْ تنسى شدتها لفرحها بأن قد ولد انسان في العالم. فكذلك أنتم تحزنون الآن، ولكني سأعود فأراكم فتفرح قلوبكم وما من أحد يسلبكم هذا الفرح» (يو ١٦ : ٢٠ — ٢٢). في الآلام سيشارك التلاميذ في ولادة هذا الانسان الجديد الذي هو المسيح والكنيسة.

وهذا أمر هام بالنسبة إلينا. فالبشرية الجديدة وُلدت من هذه الولادة العظيمة المؤلمة، ولادة الصليب، حيث حمل ابن الله في نفسه البشرية الخاطئة فعبَّرها العبور العظيم من الموت الى الحياة، ولادة الصليب التي تفتح الباب على قيامة المسيح وانتصاره. ان الله يفعل بابنه كل شيء .. شرط أن تعمل البشرية المتمثلة بشعب الله كل شيء هي أيضاً. المرأة ترمز الى شعب الله، الكنيسة، حين تلد المسيح في مأساة الصليب. اغتاظ الشيطان فارتمى على سائر أبناء المرأة، على المسيحيين، وأصلاهم حرباً في كل زمن التاريخ. والله لا ينجي الكنيسة، أي المرأة، فيخرجها من العالم، بل يحميها ويقوتها (بالأوخارستيا)، في هذا العالم على مدّ التاريخ البشري. عندما ينجي المسيح الكنيسة، فهو لا ينتزعها وينتزع كل واحد منا، نحن أبناءها، عن الوضع البشري، بل يرمينا وسط العالم، وسط الصراع ضد البشر، ولكنه يحمينا وهو الذي انتصر على الشر[1].

وسيعرض لنا يوحنا الآن هذا الصراع فيبرز أمامنا القوى المتصارعة.

٢. القوى المتصارعة (١٢ : ٧ — ١٤ : ٥)

يرينا يوحنا القوى المتصارعة على مستويين: «في السماء» وعلى الأرض

ميخائيل والتنين أو الصراع «في السماء» ١٢ : ٧ — ١٨

(١) المرأة تمثل الكنيسة. ولكن لا شك ان يوحنا فكر بمريم التي هي صورة الكنيسة. رج يو ١٩ : ٦، ٢ — ٢٧؛ لو ٢ : ٣٥).

سنرى في هذا المقطع كيف تقاتل الامبراطورية الرومانية الكنيسة. هذا المشهد الأول سيبين لنا النتيجة الحقيقية لهذا الصراع. انه قتال النصر يقوم به الله (يمثله ملاك باسم رمزي، ميخائيل: من مثل الله) ضد الشيطان. صراع كوني تشارك فيه قوى الطبيعة (مصير الخليقة يرتبط بمصير الانسان (رج روم ٨: ١٩ — ٢١). الله ينتصر والشيطان سيسعى لبعض الوقت، في زمن التاريخ، أن يسيء الى نسل المرأة، الى اخوة يسوع. ولكن المؤمنين يعرفون أن الشيطان قُهر، ولذلك فهم يستطيعون أن يتصدوا، بطمأنينة الايمان الهادئ، لهذا القتال العظيم في وجهه البشري، فالله والشيطان لا يتصارعان مباشرة، وسيستعمل الشيطان قوى بشرية ضد المسيحيين الذين ينعمون بمساندة الله.

قوى الأرض (١٣ : ١ — ١٤ : ٥)

كل قوة لها أتباعها وقوّادها. **وحشان** يرمزان الى العالم الشرير: واحد يصعد من البحر، من الغرب، وهو يمثل الامبراطورية الرومانية المضطهدة (على مرّ العصور ستحلّ محلها قوى سياسية واقتصادية). وآخر يأتي من أسيا، من الشرق، وهو يرمز الى الايديولوجيات (في كل زمان) التي تجعلها هذه القوى في خدمتها (من العرقية الى التعصب الديني) وتثبيت قوتها.

نقرأ من خلال الصور تلميحات مرقمة الى الزمن المعاصر ليوحنا. كانت واضحة لمعاصري سفر الرؤيا وبدت أقل وضوحاً لنا: فأسماء التجديف التي يحملها الوحش على رأسه تلمح الى الألقاب الالهية التي كانت تطلق على الأباطرة، والرأس الذي جُرح وبُرئ يذكّرنا بأسطورة ورد فيها ان نيرون سيعود الى الحياة. والأحجية المشهورة هي أحجية مرقمة تدل على انسان: ٦٦٦ (أو ٦١٦ في بعض المخطوطات) هي مجموعة أحرف نيرون قيصر[1].

الوحش الثاني يرمز الى كل الأنبياء الكذبة وايديولوجياتهم (مت ٢٤ : ٢٤) وهو يجلب عدداً كبيراً من الناس ليجعلهم في خدمة الوحش، الامبراطور.

تجاه هذين الوحشين وعبادهما، يقف **الحمل وتباعه** المئة والأربعة والأربعون ألفاً. قرأنا في ٧ : ١ — ٨ عن هذا الرقم ورأينا فيه بقية بني اسرائيل الداخلين في الكنيسة. فعلى من يدل الآن؟ يدل على المخلّصين، الأبكار الذين رفضوا الزنى الذي هو عبادة الأوثان. حملوا اسم الحمل، اسم الوحش. تبعوا الحمل، وهذا يعني بحسب الأناجيل انهم تلاميذه. شهدوا بقوة ولم يكذبوا. هم الأبكار، يعني هم الأولون يقدّمون كذبيحة، ويتبعهم آخرون. في اللغة الليتورجية يدل الأبكار على تقدمة بواكير الثمار أو الحيوان. كل هذا يوحي بأن هؤلاء المئة والأربعة والأربعين ألفاً يمثلون المسيحيين

(١) في لغاتنا السامية حروف الأبجدية تدل على أرقام، تحسب الأرقام فتجمع في رقم واحد.

الأولين الذين أعلنوا ايمانهم، ولاسيّما الشهداء منهم. اذاً هم يختلفون عن الـ ١٤٤،٠٠٠ الوارد ذكرهم في الفصل السابع والذين يدلون على بقية بني اسرائيل. ولكن لا بد أن يكون بين الاثنين تشابه، لأن العدد هو هو: في الحالتين نحن أمام عدد محدود من المسيحيين يشير الى عدد أكبر بكثير. في الفصل السابع، بقية اسرائيل هي نقطة انطلاق الكنيسة. أما هنا فالمعترفون الأولون والشهداء هم نقطة انطلاق جماعة المسيحيين المؤمنين في المستقبل، وبالأخص هؤلاء الذين يموتون شهداء.

جعل يوحنا أمامنا القوى المتصارعة، فماذا ستكون نتيجة هذا الصراع؟

٣. اعلان الدينونة (١٤ : ٦ — ١٩ : ١٠)

يكرس الكاتب قسماً كبيراً من هذا القسم ليعلن انتصار المؤمنين وهلاك المضطهدين. هذه هي البشرى الحسنة للدينونة التي يعلن عنها الملائكة.

آ) انجيل الدينونة (١٤ : ٦ — ١٣)

يبدو ان يوحنا يعود هنا الى مشهد الكتاب الصغير الذي سبق وتحدث عنه في القسم الأول (ف ١٠). فالملاك الآخر (نحن لم نتكلم بعد عن الملاك في هذا القسم) يلمح الى الملاك الأول في ١٠ : ١ وهو يعلن بشارة (انجيلاً) أبدية.

انجيل الدينونة هذا يعلن دمار بابل، أي المملكة الرومانية المتسلطة، وكل الذين يمثلونها وكل الذين يعبدونها. هؤلاء لا راحة لهم. ولكن الذين ثبتوا في الايمان ورقدوا في الرب، فالروح يعلن الراحة لهم.

وستأتي الفصول اللاحقة فتفصّل هذه الأفكار، ناظرة الى مصير المؤمنين ومصير بابل.

ب) آلام المؤمنين وانتصارهم (١٤ : ١٤ — ١٥)

تعوّد بعض الشرّاح أن يرى، من خلال الصورتين الكتابيتين عن الحصاد والقطاف، مصير الوثنيين. أما البعض الآخر فيرى مصير المؤمنين.

الحصاد والقطاف (١٤ : ١٤ — ٢٠)

دلنا يوحنا على المئة والأربعة والأربعين ألفاً الذين هم «باكورة لله وللحمل» (١٤ : ١ — ٥)، ثم دلنا، في انجيل الدينونة، على المضطهدين الذين يشربون خمر غضب الله المسكوب في كأس غضبه (١٤ : ٦ — ١١)، وكل هذا ينتهي بصورة المؤمنين الذين يستريحون من أتعابهم (١٤ : ١٢ — ١٣).

ويرى يوحنا هذه الأتعاب في لوحتي الحصاد والقطاف المتوازيَتين.

نستطيع أن نقرأ مثلاً مر ٤ : ٢٩؛ مت ١٣ : ٢٤ — ٣٠، ٣٦ — ٤٣ وكلها نصوص قريبة من نص سفر الرؤيا. فرقس يعود كالرؤيا الى يوئيل (٤ : ١٣)، ولكنه يبدل معناه: يدلنا على حصاد القمح الجيد. هذا واضح، ولكن الصعوبة تبرز عندما نتحدث عن القطاف. في التوراة تدل

الكرمة دوماً على شعب الله. وقطاف العنب علامة فرح وعيد. فالعناقيد لا بدّ أن تدل هنا على المؤمنين مع فارق واحد وهو انه، ان انطبقت لوحة الحصاد على كل المسيحيين المؤمنين، فلوحة القطاف لا تنطبق إلّا على الشهداء: يداسون في المعصرة خارج المدينة مثل يسوع، فيكون دمهم عصير تلك الكرمة السرية التي يسوع جذعها والتلاميذ أغصانها. ودمهم الذي يُسكر مضطهديهم سيكون خمر غضب الله. هذه الفكرة خاصة بيوحنا، حيث آلام يسوع تبدو محاكمة: هم يحكمون عليه، ولكنه هو الذي يدينهم وبدمهم المسفوك ينتصر، كما ستنتصر الكنيسة في خطاه.

ولهذا، منذ الآن، يستطيع كل المخلّصين أن ينشدوا نشيد الظفر.

نشيد الظفر في فم المخلّصين (ف ١٥)

هو نشيد موسى وشعبه المخلّصين من يد أعدائهم، هو نشيد الحمل الذي يرتبط به المسيحيون. وهكذا يسيل دم الشهداء بغزارة فتحسب الامبراطورية المضطهدة انها انتصرت. ولكن في الواقع وفي عين الايمان، هذا الموت هو انتصار الشهداء ودينونة للمضطهدين.

ج) دمار رومة — بابل (ف ١٦ — ١٧)

يبدو ان اعلان دينونة الامبراطوريات المتسلطة يستفيد من أسلوب الورق الشفاف. الفصل السادس عشر يعبّر عنه بالصور (الكاسات السبع) والفصل السابع عشر يعود إليه مكثراً من التفاصيل الملموسة. يختلف ف ١٦ — ١٧ عن ف ٦ — ١١ (الختوم والأبواق). هذه قادتنا الى نهاية العالم، أما تلك فأوصلتنا الى دمار رومة فقط.

الكؤوس السبع (ف ١٦)

تستعيد الصور هنا ضربات مصر، أنزلها الله بالشعب المضطهد لكي يتوب ويترك الحرية لشعب الله، ولكنه تصلّب في خطيئته. ويشعر يوحنا ان الظرف نفسه يتجدّد. نحن لا نعصر الصور لنكتشف معنى كل واحدة منها، ولكننا نتأثر بقوتها ونتضايق عندما نلاحظ ان ارادة الانسان الشريرة تستطيع أن تفشل عمل الله وتقلب نتائجه: فالعقاب الذي كان سيحمل الانسان على التوبة صار له قصاصاً. والدم الذي كان في سفر الخروج علامة الخلاص[1] صار علامة الهلاك (١٦ : ٦).

دمار الزانية الكبرى (ف ١٧)

وتتسلسل الصور بطريقة مدهشة. كانت الأمبراطورية المضطهدة رومة، أي بابل التي أخذت بني اسرائيل الى الجلاء في سالف الأيام. فصارت اليوم الزانية الكبرى (أي عابدة الأوثان) التي سكرت بدماء المؤمنين. وهناك تلميحات كثيرة الى التاريخ المعاصر. فهذه الزانية ركبت وحشاً بسبعة رؤوس يمثّل رومة بتلالها السبعة (آ ٩)

(١) هرمجدون أو جبل مجدو (١٦ : ٦) يلمح الى حصن مجدو حيث وقعت حروب دامية. يرمز هنا الى مكان تجمع قوى الشر.

وملوكها السبعة. هذا يدل على الأباطرة الذين تعاقبوا على عرش رومة. فاذا وضعنا جانباً ثلاثة أباطرة (غلبا، اوتون، ويتليوس) حكموا بضعة أشهر في سنة ٦٨ — ٦٩، سيكون الملوك الذين ماتوا: اغوسطوس، طيباريوس، كاليغولا، كلوديوس، نيرون الذي يملك، فسبازيان الذي سيبقى بعض الوقت، تيطس (الذي سيحكم سنتين فقط) والثامن سيكون دوميسيان الذي حسبه الناس نيرون العائد الى الحياة. يستطيع يوحنا أن يكون دقيقاً في التفاصيل لأنه يتظاهر انه يكتب في عهد فسبازيان، بينما هو يدوّن كتابه في عهد دوميسيان. أما الملوك العشرة فهم، ولا شك، الشرفاء العديدون الذين أُغفلت أسماؤهم والذين يقدّمون خدماتهم الى قوة رومة السياسية لتضطهد المسيحيين.

بعد هذا التعداد الطويل، ينطلق نشيدان مختلفان: نشيد رثاء (ف ١٨)، ونشيد نصر (ف ١٩).

د) نشيدان يعلنان نتيجة الدينونة (١٨ : ١ — ١٩ : ١٠)

رثاء بابل (ف ١٨)

وحين يدعو صوت شعب الله الى الهرب، كما حصل في مصر في القديم، ينطلق رثاء مثير مستوحَى من حزقيال وارميا، على الملوك والتجار والتجارة الذين جرفتهم كارثة جاءتهم من السلطة التي خدموها بطريقة عمياء، وستشاركهم السماء في هذا الرثاء.

نشيد انتصار المختارين (١٩ : ١ — ١٠)

وانضمت جماعة المخلَّصين العظيمة الى الشيوخ الأربعة والعشرين والى الأحياء الأربعة، فأنشدوا جميعاً تهليل الانتصار، بانتظار أن يطلّ علينا نشيد عرس الحمل. ولكن، وقبل أن يتخذ هذا النشيد مداه في ف ٢١، سينطلق نشيد حربي مريع.

٤. النصر الأخير (١٩ : ١١ — ٢٠ — ١٥)

ويقدم لنا يوحنا مرة أخيرة انتصار المسيح في لوحتين، واحدة «في السماء»، وأخرى على الأرض.

آ) انتصار المسيح (١٩ : ١١ — ٢١)

وصار الحمل المذبوح محارباً تخضّب رداؤه بالدم. هنا تتبدل الصور ويمكن أن تصدمنا بوحشيتها. ولكن أما هذا هو الواقع؟ رأت التقاليد اليهودية في القاطف صورة عن المسيح الذي يسحق أعداءه (رج اش ٦٣ : ١ — ٦). ولكن منذ تلك الجمعة العظيمة، نحن نعرف ان المسيح، الذي أراد أن يدمر الشر، لم يسفك دم الآخرين: أخذ على عاتقه كل شر العالم (جعله الله خطيئة لأجلنا رج ٢ كور ٥ : ٢١) فدمّر الشر في جسده. اذاً، الدم الذي يخضّب رداءه هو دمه الخاص. والديّان الآتي في آخر الأزمنة هو أيضاً ذلك الخاطئ المسحوق. والفارس الأحمر هو الحمل المذبوح. معصرة الغضب هي معصرة الألم والذي يدوس العنب هو أيضاً العنقود المداس. والدم هو دم المسيح والشهداء.

واحمرار رداء انتصاره يأتي من دم الصليب. هنا نجد التناقضات عند يوحنا حيث الصليب هو عرش المجد الذي يصعد عليه الرب الممجَّد. بعد هذا، نستطيع أن نقترب من مشهد الدينونة، بخوف ولا شك، ولكن بثقة قبل كل شيء. أجل، لقد قُهر الشر بصورة نهائية في يسوع المسيح، كما في كل الذين قبلوا أن يشاركوه في سره الفصحي.

هذا هو اليقين الذي يقدمه لنا يوحنا، ولكن ماذا يعني هذا بالنسبة إلينا نحن العائشين على الأرض؟.

ب) «ألف سنة من تاريخ الكنيسة» (ف ٢٠)

مشهد الألف سنة، الذي فسره الناس تفاسير غريبة عجيبة، يضع أمامنا على الأرض ما دلّ عليه المشهد الأول في السماء.

خلاصة القول ان التنين قُيِّد لألف سنة، فلا يستطيع من بعد أن يغري العالم. وفي نهاية الألف سنة، سينطلق فيجمع قوى الشر، ولكنه يُغلب من جديد. وبشكل موازٍ، نحضر مشهد الدينونة: يعود المؤمنون الى الحياة لألف سنة في القيامة الأولى ويملكون مع المسيح. وكل هذا ينتهي بالدينونة الاحتفالية.

تصور الأقدمون وتصور بعض الشيع اليوم انه في نهاية الأزمنة سيملك المؤمنون على الأرض مع المسيح ألف سنة قبل نهاية كل شيء. ولكننا هنا، ولا شك، أمام صور لا بدّ من فك ألغازها.

«عاش المؤمنون» أو «عادوا الى الحياة» (٢٠ : ٤). وينبهنا الانجيل الرابع الى اننا أمام الحياة الحقة، حياة القيامة التي تبدأ في الواقع للذين يسمعون «صوت ابن الله» (يو ١١ : ٢٥). والموت الثاني يدل، بحسب النصوص اليهودية المعاصرة ليوحنا، على القصاص النهائي، وهو لا يصل الى الذين يعيشون منذ الآن مع المسيح (٢٠ : ٦؛ رج ٢ : ١١). هؤلاء المؤمنون يملكون منذ الآن مع المسيح ويمارسون معه كهنوته (٢٠ : ٤ — ٦؛ رج ١ : ٥ — ٦؛ ١ : ٩ — ١٠). وهم منذ الآن يشاركون في الدينونة التي هي، بحسب التوراة، إظهار واعلان النصر الأخير بنتائجه قبل أن تكون قرار محكمة تعلن حكماً جديداً في قضية غير واضحة الى الآن.

أما الشيطان فقد قُيِّد ودُحر منذ الصليب، وثورته النهائية التي ينبئ بها يسوع في خطابه الجلّياني (مر ١٣ : ٥ — ١٣ وما يقابله في سائر الأناجيل) يجب ألّا نأخذها على حرفيتها. هل يكون هناك نوع من انتفاضة شيطانية، أم اننا أمام صورة جلّيانية تسعى الى ابراز انتصار المسيح على كل حال. من الواضح ان عمل الشيطان سيبوء في النهاية بالفشل.

وكيف نفهم «الألف سنة»؟ يعود يوحنا هنا الى تقاليد يهودية معقدة. هذه الألف سنة تحدّد زمن المملكة المسيحانية السابقة للملكية النهائية. فالمعلمون اليهود قاربوا بين النصوص عن يوم الرب مز ٩٠ : ٤ (ألف سنة في عينيك كيوم أمس الذي عبر)، فظنوا ان هذا الملكوت سيدوم ألف سنة. وجاء نص آخر يبلور هذا التفكير وهو اش ٦٥ : ٢٢. في هذا المقطع الذي يتكلم فيه النبي على نهاية الأزمنة نقرأ: بحسب أيام الأشجار تكون أيام شعبي، فصارت العبارة في السبعينية اليونانية:

بحسب أيام شجرة الحياة تكون أيام شعبي. التلميح الى الفردوس الأرضي واضح ، وقد رأى التقليد اليهودي في المملكة المسيحانية تتمة لما أعلنت عنه الاقامة في الفردوس. فصورة الألف سنة لا تدل على مدة من الزمن ، بل على اننا أمام يوم الرب ، وهذا اليوم سيحقّق ما يعد به الفردوس[1].

هذه الألف سنة تدل اذاً على زمان تاريخ الكنيسة الذي يمتد من انتصار المسيح الفصحي الى مجيئه الثاني. ولكن الصورة تحمل أيضاً معنًى لاهوتياً: المسيح أعاد الانسان منذ الآن الى الفردوس. منذ الآن يذوق المؤمن ثمرة الخلود من شجرة الحياة بواسطة الأسرار (٢ : ٧؛ ٢٢ : ١٤ ، ١٩).

دلّنا مشهد الفارس الأحمر في السماء على انتصار المسيح ، ودلّنا مشهد الألف سنة على الأرض على اننا منذ الآن نحن نشارك في هذا الانتصار في حياة يسوع الحقة.

كان بإمكان سفر الرؤيا أن ينتهي على هذا المشهد فيعطي المسيحي رجاء لا يتزعزع. ولكن يوحنا سيتوسع أيضاً في كل هذه المواضيع ليلقي ضوءاً أمام عيوننا المبهورة على الوجهة المجيدة والمجلاة لهذه الكنيسة.

٣. كنيسة نازلة من السماء (ف ٢١ — ٢٢)

بعد اللوحة المخيفة التي تأملنا فيها والتي ترسم أمامنا تفكك الشر في جحيم من الكبريت والنار ، يبرز أمامنا عالمنا كايقونة مضاءة من الداخل بضياء هادئ: عالمنا الذي هو هو مع انه جديد ، لأن جمال الله تجلّى فيه.

تفتتح التوراة صفحاتها الأولى بمشهد الخلق الأول ، وفيه يتحدث الله في ممرات الفردوس مع آدم ، كما يتحدث الانسان مع صديقه ، مع آدم المعجب الفخور بعالم أعطي له ليبنيه. ونغلق الكتاب ونفتحه من جديد على مشهد آخر أكثر جمالاً.

فالفرح البادي هنا هو أولاً فرح الله: ها أنا أجعل كل شيء جديداً. فرح الله الذي يقدر أن يحقق حلمه فيكون لا الله فحسب ، بل الله مع ... هو يقيم مع البشر فتكون الشعوب له ويكون هو معها الهها. يستطيع الله أن يحمل هذا الاسم الذي أنبأ به اشعيا (٧ : ١٤) والذي حمله يسوع يوم ولادته (مت ١ : ٢٣) وحققه عندما قام من بين الأموات (مت ٢٨ : ٢٠ : أنا معكم كل الأيام) : انه عمانوئيل ، أي الله معنا. وما تصوّره

(١) في بداية القرن الثاني ب م ، رأى القديس يوستينس (كاتب مسيحي أصله من السامرة) في اش ٦٥ : ٢٢ نبوءة ألف سنة من السعادة محفوظة للمسيحيين.

العهد القديم بصعوبة قد تحقق. لقد تم العهد مع كل البشر فصارت كل الشعوب شعب الله.

الخلق الثاني يشبه الخلق الأول، ولكن زالت الحية والخطيئة. العالم القديم الممزوج بالخطيئة أعيد تذويبه في مصهر الحب. والبحر، بقية الفوضى الأولى ورمز القوى المعادية، قد جفّ بنفخة الروح. وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم ولا يكون الموت من بعد. لا بكاء ولا صراخ ولا ألم، لأن العالم القديم قد زال.

ولد الفردوس الأول من ينبوع يسقي بحياته الأرض فيخصبها (تك ٢ : ٦). خسرنا هذا الينبوع بخطايانا نحن البشر وما زلنا نبحث عنه. استشف حزقيال الينبوع في المستقبل خارجاً من الهيكل الجديد وأعطاه اسماً: الروح القدس. هذا الينبوع وعد به يسوع السامرية، وخرج من الجنب الأيمن لهيكل جسده فجرى على العالم. وها هو يوحنا يراه خارجاً من حضن الثالوث، من «عرش الله والحمل». ورأى أيضاً شجرة الفردوس التي خسرناها تمدّ أصولها وتعطي الانسان طعام الخلود (٢٢ : ٣). ذلك مشهد من وراء التاريخ، ولكنه يتحقق في التاريخ. فالروح الذي هو مياه المعمودية ينبع من الأوخارستيا فيعطي حياة للذين يغذيهم يسوع بجسده، بشجرة الحياة.

حنين عظيم الى صداقة خسرناها ما زال يلازم قلب الانسان. «أرنا يا رب وجهك...»، «متى أذهب وأرى وجه الله»؟ انتظار مولع وفراغ سيُملأ. «يرون وجهك ويكون اسمك على جباههم». لا حاجة الى الشمس والضياء، لأن نور الرب نفسه يضيء على كل الوجوه.

ولكن هذه الفرحة القوية التي ولدت عالماً جديداً لم تكتشف بعد ملء غناها: ان نشيد الفرح هذا هو في الواقع مسيرة الأعراس.

وتأتي صورة أشعَّت على كل هذا المشهد، كما وحدت الوحي كله. الصورة هي صورة الزواج. «رأيت المدينة المقدسة، أورشليم الجديدة، نازلة من السماء من عند الله كعروس تزينت واستعدت للقاء عريسها» (٢١ : ٦). هناك موضوعان أساسيان نكتشفهما في الكتاب المقدس ويتوحدان هنا في توافق وتناغم: موضوع الزواج وموضوع الهيكل.

موضوع الهيكل يعبّر عن شوق الانسان الى أن يرى الله يسكن عنده. انطلق الله من رمز عادي هو هيكل أورشليم وأفهم الانسان ان رغبته هي أن يقيم، لا في مكان، بل في شعب. في المدينة السماوية التي زارها يوحنا، لم يجد هيكلاً ولم يدهش لذلك، فلا حاجة الى الرمز بعد أن صارت الحقيقة حاضرة. الله والحمل حاضران دوماً للبشر وبصورة منظورة. سر انصهار فيه يبدو الله والبشرية الشفافة أمام النور الذي يقيم فيها، كالمدينة المشعة الوحيدة التي اليها تسير الأمم الضالة (٢١ : ٢٣ — ٢٦). سر اتحاد عجيب لا يشبع جوعنا، لأننا إن لم نكن اثنين فكيف يحب واحدنا الآخر بعد؟

ولكن صورة الزواج تحافظ على التمايز بين كائنين متحدين. المدينة المقدسة، البشرية التي هي مسكن الله، هي أيضاً المزينة لعريسها، والكون بأجمعه يحتفل بعرس الحمل (١٩ : ٩؛ ٢١ : ٢). البشرية المفتداة مدعوة الى حياة صحيحة

كاملة مع المسيح الممجد فتكتشف نفسها، ويكتمل انتظارها. ولكن يوحنا ينبّهنا الى ان هذا الاتحاد العجيب، الذي نعيشه منذ الآن في الأوخارستيا وفي محبتنا لبعضنا، لا يأتي منا بل يعطى لنا. وهذه العروس «النازلة من السماء»، الكنيسة التي هي عطية الله النهائية، لا تشبه في كل شيء كنيستنا على الأرض، ولكنها حاضرة منذ الآن في هذا الشعب المتعدّد الوجوه الذي ينتسب منذ اليوم الى يسوع المسيح ويعيش من حضوره، منتظراً كمال تفتّحه على الحياة الجديدة.

ان الوحي كلّه بشكله المكتوب يبدو أمامنا مضاءً بهذين المشهدَين: مشهد الفردوس ومشهد سفر الرؤيا. فالأول مشهد حنين فيه يحاول المؤمنون، انطلاقاً من اختبارهم لله، أن يتفهموا مصير الانسان وحاجته الى الاتحاد بالله وبالآخرين وبالكون وبنفسه. بدت لهم الأمور في الماضي وكأنها حلم تبخر، لأن الخطيئة ما زالت تحطم كل شيء. ولما صرنا في نهاية الطريق، جاء سفر الرؤيا فزرع في قلب العالم يقيناً لم تسمع به أذن، قال: لا، لسنا أمام حلم، تاريخ البشرية له معنى. الفردوس هو الحقيقة، بل الحقيقة الوحيدة، وإليه تسير البشرية. هذا الفردوس ليس مكاناً، بل اتحاداً يدل على العرس الأبدي بين المسيح والبشرية.

هذا الفردوس هو الحقيقة الوحيدة الباقية، ولكنه لا يجعلنا ننطلق من تاريخنا، بل يجذّرنا فيه، واضعاً فينا اليقين أننا نهيّئ مدينة الأرض لأعراس السماء. وهذا يتطلب منا التزاماً بواقع تاريخنا، فنتعاون مع كل البشر لكي يزول كل صراخ، كل دمعة، كل الحروب. ولكن المؤمن يكون أكثر تطلباً من غيره، لأنه يبحث في التاريخ عن هدف يتجاوز التاريخ. هو لا يستطيع أبداً أن يرضى بما حصل عليه من نتائج إلا تلك التي تدفعه الى العمل لبناء مدينة يكون مصيرها أكثر جمالاً.

ويعيش المؤمن صراعه في «الأوخارستيا» في صلاة الشكر. هو يعرف أن عليه أن يبني هذه المدينة ويقرّ بأنها معطاة له من الله، نازلة من السماء. يعرف المؤمن انه يحمل رجاء في وسط البشرية، أكبر من قلب هذه البشرية، وهو يدفعها دوماً الى تجاوز نفسها.

ولهذا، فالكنيسة، أي العروس، لا تعرف إلا صلاة واحدة، تلك التي يهتف بها الروح فيها ومعها:

«نعم، تعال أيها الرب يسوع».

سفر الخروج وسفر الرؤيا

قلنا في المقدّمة ان الرؤيا هي قراءة مسيحية للعهد القديم، وقراءة تبين تحقيق تاريخ اسرائيل في يسوع وفي الكنيسة. كل تاريخ بني اسرائيل، في نظر يوحنا، هو نبوءة عن المسيح. إنما هناك وقتان يبدوان مميَّزين: الخلق والخروج. سيعود يوحنا الى الخروج، زمن تكوين بني اسرائيل كشعب، ومن هناك سيستقي مواده.

نحن نرى كيف استعمل سفر الرؤيا سفر الخروج، فنفهم كيف ترتبط الشريعة المسيحية بمعنى التاريخ المقدس. ولكن هذا يطرح علينا سؤالاً: لماذا رجع كتاب العهد الجديد الى العهد القديم؟

العهد القديم نبوءة

كان على كتّاب العهد الجديد أن يقدموا لنا ذلك الذي أعطانا خمراً جديدة هو تعليمه ووعده، وفي الوقت نفسه، أتلف الآنية القديمة الحاوية العهد القديم (رج مر ٢ : ٢٢). لا شك في أن يسوع تجاوز العهد القديم الى حد بعيد، ولكنه أراد أن يكون تعليمه امتداداً لتعليم العهد القديم. قال: ما جئت لأحلّ، بل لأكمِّل (مت ٥ : ١٧). فهم التلاميذ تدريجياً ما في العهد القديم من طابع نبوي، فهو لا يتضمن فقط إنباءً ووعداً بالخلاص (أي بالمخلِّص) الآتي. ولكن، اذا قرأناه في ضوء التحقيق النهائي، بدت أشخاصه وأحداثه صوراً ورموزاً تلقي ضوءاً بدورها على العهد الجديد (رج لو ٢٤ : ٢٧، ٤٤). ولقد شدّد الكتّاب المسيحيون على قيمة العهد القديم كتصوير مسبق، فذكّروا المؤمنين بأن الكرازة الأولى للقيامة استندت الى البرهان الكتابي (اع ٢ : ٢٢ — ٣٦؛ ١٣ : ١٦ — ٤١) ورسموا مقابلة بين أحداث التاريخ المقدس والواقع المسيحي (١كور ١٠ : ١ — ١٢؛ عب ١١ : ١ي؛ أع ٧ : ١ي).

وحاول سفر الرؤيا أن يفسّر التاريخ في ضوء

الوحي، فبدا له سفر الخروج «المكان» المميّز، فهو يقدّم عجائب الله من أجل شعبه الذي تعرض لعداوة المصريين ومشقات البرّيّة. سفر الخروج هو نقطة انطلاق رائعة للاهوت شعب الله الجديد الذي يتبع يسوع الناهض من الموت فيواجه اضطهاد رومة الوثنية[1].

١. اعلان الرب أمام العليقة المشتعلة (خر ٣ : ١٤)

كشف الرب عن نفسه لموسى على جبل حوريب (أو سيناء) على انه ملء الكينونة بحضوره الفاعل. هو من يحدّد نفسه: أنا هو، أو أنا من أنا، أو أنا هو الذي هو. يذكّر اسم يهوه بهذا الاعلان فينقل العبارة الى صفة الغائب: هو. اذا كان الانجيل الرابع قد استعمل العبارة أنا هو، ليشدّد على تسامي يسوع الالهي (يو ٨ : ٢٤، ٢٨، ٥٨؛ ١٣ : ١٩) فسفر الرؤيا يحتفظ بهذه العبارة ليستحضر عظمة الله الآب، ولكنه يتوسع فيها فيقول: «الذي هو كائن، والذي كان، والذي يأتي (١ : ٤، ٨؛ ٤ : ٨). وهكذا فوجود الله حضور دائم وفاعل وهو يسود التاريخ، لذلك نمتدحه نحن المؤمنين[2].

٢. الانتزاع من العبودية: ضربات مصر

نجد في سفر الخروج الضربات التي ينزلها الرب بمصر والتي ينبئ بها موسى. هي أعمال عجيبة وهي تهدف الى تحطيم عناد شعب وثني ظالم يمثله فرعون. ليست هذه وقائع مجهولة، بل أعمال الله تأتي في وقتها وتعمل عملها. والأمبراطورية الرومانية تجسّد للكنيسة الأولى دور مصر الوثنية. لذلك يرى سفر الرؤيا هذه الامبراطورية تصيبها الضربات، كما أصابت مصر. الله سيّد التاريخ ولا شيء يمنعه من العمل في سبيل مختاريه. واستخدام ضربات مصر نجدها في دورة الأبواق (ف ٨ — ٩) والكؤوس (ف ١٦). وفي اللوحة الواردة أدناه فكرة عنها:

ضربات مصر (خر ٧ : ١ ي)	**الأبواق** (رؤ ٨ — ٩)	**الكؤوس** (رؤ ١٦)
١) المياه تتحول الى دم ٧ : ١٤ — ٢٥		
٢) الضفادع ٧ : ٢٦ — ٨ : ١١	٢) جبل النار في البحر: ثلثه صار دماً ٨ : ٨ — ٩	٢) بحر الدم ١٦ : ٣
٣) البعوض ٨ : ١٢ — ١٥		٣) أنهار وينابيع دم ١٦ : ٤ فاصل: ثلاثة أرواح نجسة شبيهة بالضفادع ١٦ : ١٣
٤) الذباب ٨ : ١٦ — ١٨		
٥) وباء يصيب الحيوان ٩ : ١ — ٧		

(١) يستعيد الانجيل الرابع سفر الخروج، فيقدم لنا يسوع على انه موسى الجديد وخادم عهد جديد.

(٢) في أناشيد الشكر (١١ : ١٧، ١٦ : ٥) حيث يعتبر الحدث المنتظر وكأنه تحقق، نقرأ هذه العبارة فقط: أنت الكائن الذي كان.

٦) القروح ٩ : ٨ — ١٢	١) عاصفة مع البرد ٨ : ٧	١) قروح تصيب الناس الذين عليهم سمة الوحش ١٦ : ٢
٧) البَرَد ٩ : ١٣ — ٣٥	٥) جراد كخيل معدّ للقتال ١٩ : ١ — ١١	٥) مملكة الوحش في الظلمة ١٦ : ١٠
٨) الجراد ١٠ : ١ — ٢٠	٤) أظلم الثلث ٨ : ١٢	
٩) الظلمة ١٠ : ٢١ — ٢٦		
١٠) موت الأبكار ١١ : ٤ — ٨؛ ١٢ : ١٢ — ١٣، ٢٩ — ٣٤		

يذكّرنا البوق الثالث بحدث المياه المرة (خر ١٥ : ٢٣)، فيرسم أمامنا سقوط الكوكب علقم على الأنهر والينابيع (٨ : ١٠ — ١١)، ويذكرنا الكأس السادس بعبور البحر الأحمر، فيرسم أمامنا نهر الفرات فتمر عليه الجيوش (١٦ : ١٢). وتُبرز اللوحة أمامنا ما اختاره يوحنا : أخذ ست ضربات من ضربات الخروج وتخيّل غيرها ومزج التي أخذها من سفر الخروج بأمور أخذها من سائر كتب التوراة. فالعاصفة مع البَرَد مثلاً (٨ : ٧) تذكّر بضربة البرد، ولكنها تبدأ بآية مأخوذة من حزقيال (٣٨ : ٢٢). والتوسع في الحديث عن الجراد يستعمل ضربة مقابلة في سفر الخروج، ولكنه يقرأ النص في ضوء سفر يوئيل (١ : ٢ — ١٢) حيث هجوم الجراد ينبئ بهجوم الأعداء (يؤ ٢ : ١ — ١١). نرى هنا أسلوباً دقيقاً وحرية تصرف مبنية على هذا الحدث البديهي : ان عقابات الله في العهد القديم ترسم أمامنا عدالة الله المنتصرة، وتساعد المسيحي على الايمان بانتصار الله في تاريخ الكنيسة، أي بانتصار المسيح القائم من الموت، وهذا موضوع يلقي ضوءه على الكتاب كله (٥ : ٥؛ ١٧ : ١٤؛ رج يو ١٦ : ٣٣).

في الضربة الأخيرة، يرتبط موت الأبكار في الخروج بذكر الفصح الاحتفالي الأول الذي يشير الى انطلاق الشعب (خر ١٢ : ١ ي). هذا الذكر حاضر، ولا شك، في فكر يوحنا، عندما يتحدث عن الحمل «القائم كأنه ذُبح» (٥ : ٦)، أو عن دم الحمل (٧ : ١٤؛ ١٢ : ١١؛ ١ : ٥).

وموضوع الانتزاع من العبودية يبلغ أوجه في رواية عبور البحر الأحمر (خر ١٤ : ١ ي). يلمح رؤ ١٥ : ٣ الى نشيد موسى بعد هذا العبور (خر ١٥ : ١ — ١١). فكما كان هذا نشيد النصر بعد النجاة، فنشيد موسى **والحمل**، كما ينشده المسيحي، يمتدح عظمة الله الذي ينجي كنيسته.

٣. تكوين الشعب الملوكي

المكان المميّز في سفر الخروج هو جبل سيناء حيث يتجلى الله لموسى ليخبر شعب اسرائيل بدعوته أن يكون الشعب المختار.

اعلان رئيسي

مخطَّط عهد الله مع بني اسرائيل، كما نقرأه في خر ١٩ : ٣ — ٨، هو أن يكونوا شعب الله حقاً.

وكل هذا يجعله الوعد الذي نقرأه في آ ٦ : « تكونون لي مملكة كهنة ، أمة مقدسة » . هذا النص استعادته الكنيسة الأولى لتحدثنا عن دعوة المعمد المكرس لإلهه ليقدم له العبادة التي تليق (١ بط ٢ : ٩ ؛ تي ٢ : ١٤). ويورد سفر الرؤيا هذا النص مراراً ، فيُدخله في اطار مسيحي . يسوع نجّانا بدمه فجعل منا « **مملكة** وكهنة لله أبيه » (١ : ٦). ويعود بنا الكاتب الى خر ١٩ : ٦ (نقرأ في النص اليوناني : **مملكة** ، **كهنوت**) والى اش ٦١ : ٦ (**كهنة** الرب ، ليتورجية الله) . ترتبط هاتان الآيتان أيضاً في النشيد للحمل (٥ : ١٠) ، وعبارة ٢٠ : ٦ ترجعنا مباشرة الى اش ٦١ : ٦. ولكن موضوع الكهنة سيعود : « يكونون **كهنة** الله والمسيح **ويملكون** معه ألف سنة » .

وهكذا ينطبق نص سفر الخروج المتعلق بالكهنوت الملوكي على المسيحيين الأحياء على الأرض وعلى الذين انضموا الى المسيح .

الظهور على سيناء

يقحم سفر الخروج اعلان الوصايا العشر ، وهي شرعة العهد الأساسية (٢٠ : ١ — ١٧) ، في ظهور كبير (١٩ : ١٦ — ٢٥ ؛ ٢٠ : ١٨ — ٢١). فالظواهر الكونية من نار وعاصفة وزلزال ، التي ستملأ التقليد الكتابي ، تعبّر أمام شعب يعيش قرب الطبيعة عن العظمة المخيفة للاله الحقيقي .

ويذكر سفر الرؤيا هذا الظهور أربع مرات في الرؤى السباعية الأولى .

في الرؤية الأولى لدورة الأختام ، يصعد الرائي الى الله مثل موسى (٤ : ١ ؛ رج خر ١٩ : ٢٠). في هذه الرؤية وفي تلك التي تسبقها دورات الأبواق والآيات وسقوط بابل ، نتذكر العلامات الكونية (٤ : ٥ ؛ ٨ : ٥ ؛ ١١ : ١٩ ؛ ١٦ : ١٨) ، ولكن خر ١٩ : ١٦ لا يحدثنا إلا عن « الأصوات والبروق » . أما سفر الرؤيا فيشير دوماً الى الأصوات والبروق والرعود . والرعود توضح هذه الأصوات التي تدل على الرعد في الخروج .

أما الزلزال الحاضر في النصوص الثلاثة الأخيرة فنحن نستنتجه من مناخ الظهور في سفر الخروج الذي يقول ان الشعب ارتجف (في النص العبري في ١٩ : ١٨ نقرأ : وارتجف الجبل كله) . وأخيراً ، يزيد ١١ : ١٩ متحدثاً عن البَرَد الكبير ، كما في ضربات مصر . وقد عاد سفر الرؤيا مراراً الى الظهور العظيم ، كما في سفر الخروج ، فشدّد على قدرة الله ومجده السامي ، وعلى أن لا شيء يستطيع أن يعيق عمله .

شعب اسرائيل في البرية

يحتفظ يوحنا ببعض الحوادث من مسيرة بني اسرائيل في البرية .

آ) **الطعام**. « المن الخفي » الموعود به للظافر في برغامة (٢ : ١٧) يعيدنا طبيعياً الى حادثة المن (خر ١٦) ، وكلمة « خفي » تلمح الى أصله السري (خر ١٥ : ١٦) ، ولكنه يدل هنا على واقع جديد . هل فكر الكاتب بالأوخارستيا ؟ لا شك في ذلك لأن يو ٦ : ١٣ و١ كور ١٠ : ٣ يجعلان من المن رمزاً الى الأوخارستيا (رج أيضاً مر ٦ : ٤٢ من خلال مز ٧٨ : ٢٤).

والمرأة التي أخذت الى البرية لتقتات هناك من يد الله (١٢ : ١٤) تذكّرنا أيضاً بشعب اسرائيل، صورة الكنيسة التي تغتذي بالمن في البرية.

ينابيع الماء في ٧ : ١٧، تعود بنا أولاً الى مز ٢٣ : ٢. **والمياه الحية المعطاة مجاناً** للمؤمن (٢١ : ٦؛ ٢٢ : ١) تعود بنا الى اش ٥٥ : ١. ولكن، من خلال هذا، يرتسم حدث المياه الخارجة من الصخر، هذا الينبوع الذي يعطيه الله مجاناً (حز ١٧ : ١ — ٧).

ب) **موضوع الكتاب** الذي يسجل فيه الله أسماء المختارين ويمحو أسماء الخطأة، نقرأ عنه في خر ٣٢ : ٣٢ — ٣٣ بعد حدث العجل الذهبي، ونجده من جديد في الرسالة الى كنيسة سرديس (٣ : ٥)، كما نقرأ عرضاً متقابلاً: «كل من خطئ إليَّ امحوه من كتابي» (خر ٣٢ : ٣٣). الظافر لا امحو اسمه من كتاب الحياة (٣ : ٥).

ج) **صورة كهنوتية لقبائل بني اسرائيل**. على حجارة صورة الكاهن الأعظم حُفرت أسماء بني اسرائيل الاثني عشر (خر ٢٨ : ٢١). والأبواب الاثنا عشر في أورشليم الجديدة تحمل أسماء قبائل بني اسرائيل الاثني عشر (٢١ : ١٢). أما السور فيستند الى اثني عشر ركناً تحمل أسماء رسل الحمل الاثني عشر، وهذا ما يدلنا على التواصل بين العهدين.

يورد لنا سفر الرؤيا قبائل بني اسرائيل مرةً بصورة تفصيلية في ٧ : ٤ — ٨، المئة والأربعة والأربعون ألفاً الموسومون يدلون الى كنيسة الأرض بطريقة رمزية. والقبائل الاثنتا عشرة[1] تذكّرنا باسرائيل الجديد بأعداده الكبيرة جدّاً (مربع ١٢ مضروب بألف).

٤. العبادة الليتورجية

قسم كبير من سفر الخروج وخاصة كل ما يعود فيه الى التقليد الكهنوتي (خر ٢٥ — ٣١، ٣٥ — ٤٠) مخصص لفرائض العبادة. من هذا القسم أخذ سفر الرؤيا الشيء القليل. غير أن صاحب سفر الخروج وصاحب سفر الرؤيا سيلتقيان في نظرة أساسية واحدة، وهي ان عبادة الله الحقيقي تعني تقديم المديح له. فصورة المختارين في السماء تبدو بشكل ليتورجية تقابل ليتورجية هيكل أورشليم، كما تخيّلها الكتّاب الكهنة مسبقاً في الخروج، فصوروا الخيمة والمعبد المحمول. وهنا نقاط الاتصال تصير واضحة.

مذبح البخور (٨ : ٣ — ٤) والهيكل مع تابوت العهد (١١ : ١٩) والهيكل المملوء دخاناً (١٥ : ٥ — ٨)، يعود بنا الى هيكل سليمان يوم دُشن (١ مل ٧ : ٤٨، ٨ : ١ — ١١)، كما يعود بنا الى الأوصاف الموجودة في سفر الخروج (خر ٣٧ : ٢٥ — ٢٨؛ ٣٧ : ١ — ٩، ٤٠ : ٣٤ — ٣٥).

ما الذي يهمّنا اليوم من كل هذا؟ هذه العناصر المركزية في الخروج تساعد يوحنا على بناء لاهوت الكنيسة. هو يرى في شعب اسرائيل المدعو والمخلص والمحمي صورة للشعب المسيحي.

(١) في هذه اللائحة، حل منسى ابن يوسف محل دان. هناك تقليد يهودي يربط قبيلة دان بإحدى اللعنات.

وتبرز ثلاثة مواضيع :

الاختيار. الله يدعو موسى ليحمل الى الشعب نداءً إلهياً هو في الوقت نفسه اختيار له. وهو يرسل ابنه ليحمل الى اسرائيل الجديد نداءه واختياره. بعد أن تقوّى المسيحيون بهذا الاختيار، عليهم أن يشهدوا لايمانهم في العالم.

الحماية. هذا الاختيار أمر ملموس، وهو يعني مساعدة دائمة : انتزاع من عبودية الوثنيين وطعام في البرية. فعبر القتال والصعوبات، تبدو عناية الله. وهكذا يقود الله الكنيسة ويسيِّرها على خطى المسيح المنتصر. فلا يحقّ لها أبداً أن تستسلم لليأس الذي هو فقدان ايمان.

المديح والعبادة. طلب إله اسرائيل من شعبه عبادة منظمة ومديحاً دائماً. وهذا المديح هو تعبير مجاني للحب وشكر لخير أعطي لنا. والكنيسة لن تقصر مع إلهها ومع الحمل الفادي. ثم ان المديح هو دوماً السبيل لأن ننتزع نفوسنا من صعوبات الزمن الحاضر لننفتح على فرح اللقاء بالله الحق.

ان زخم سفر الرؤيا الذي تغذّى بسفر الخروج يجب أن ينتقل الى الكنيسة اليوم. لن نسقط في تجربة اليأس، اذا عرفنا أننا مدعوون ومخلَّصون، تحيط بنا محبة إله أعطانا ابنه. ثقة ثابتة تنفتح على مديح الفرح واعجاب بأعمال الله ويقين مطمئن بانتصار المسيح في مراحل التاريخ المأسوية. هذه هي النعمة التي تحملها إلينا قراءة سفر الرؤيا. نحن الشعب السائر في خروج جديد للقاء الرب في ملكوته.

يا الله
يا أبا يسوع المسيح
أنت لم تضنّ بابنك الوحيد
بل أسلمته لأجلنا
فكيف لا تهبنا معه
كيف لا تهبنا كل شيء.
نعم أنت أهل
أيها الرب إلهنا
أن تأخذ المجد
والكرامة والقدرة
لأنك أنت هو الله
الذي خلق كل شيء
لأنك أنت هو الله
الذي أراد أن يكون كل شيء
أن تكون خلائقك.
نعم أنت أهل
أيها الرب إلهنا
أن تأخذ المجد
والكرامة والقدرة
لأنه في يسوع المسيح الحي
كل شيء صار جديداً
باشارة الصليب والفصح.
تلك الاشارة عينها
اشارة من هو ملء الحياة
الى دهر الدهور.

شهود وأنبياء في العالم

سفر الرؤيا رسالة عزاء الى المسيحيين المضطهدين، ولكنه ليس أفيوناً للقطيع الصغير المؤلّف من المحكومين عليهم يجعلهم يتقبلون حياتهم بصبر واستسلام. فالى تلاميذ من قال: «عندما أسمّر على الصليب أجتذب إليّ الناس أجمعين»، يوجه صاحب الرؤيا كلامه فيذكرهم ان عليهم رسالة في العالم: أن يكونوا شهوداً على مثال الشاهدين اللذين يحدثنا عنهما سفر الرؤيا ١١ : ١ — ١٣.

سفر الرؤيا كتاب دُوِّن لمجد الحمل المذبوح والمنتصر، وهو يولي أهمية كبيرة للشهادة. فالشهيد بكل معنى الكلمة هو الذي يحبنا، يسوع المسيح، الشاهد الأمين وبكر المولودين من بين الأموات وملك ملوك الأرض (١ : ٥).

شهادة يسوع نقارنها بكلمة الله (١ : ٢ — ٩) لأن يسوع يعرّف العالم بمقاصد الله. والرؤيا تبيّن بصورة خاصة مكانة السر الفصحي. وهذا ما نراه في خاتمة الرؤية الأولى حيث يجعل يسوع من يوحنا نبيّه فيقول له: «لا تخف. أنا الأول والآخر، أنا الحي. كنت مائتاً وها أنا حي أبد الدهور. بيدي مفاتيح الموت والجحيم» (١ : ١٧ — ١٨).

وشهادة التشجيع هذه ستدفع الجماعات المسيحية الى الثبات، وتشعل فيهم التشوق للقاء الحاسم بالرب. «أنا يسوع أرسلت ملاكي ليشهد عندكم بهذه الأمور في الكنائس. أنا نسل سلالة داود والكوكب الزاهر في الصباح. يقول الروح والعروس: تعال. من سمع فليقل: تعال. من كان عطشاناً فليأت. ومن شاء فليأخذ ماء الحياة مجاناً» (٢٢ : ١٦ — ١٧).

نريد هنا أن نصف الطريقة التي بها تحيا الكنيسة من هذه الشهادة وتنقلها على مرّ التاريخ، ثم نجمع الاشارات المتعلقة بالخدم المتنوعة.

١ . شهادة الكنيسة

سفر الرؤيا هو نداء الى الأمانة للرب في زمن الاضطهاد وهو يولي الشهادة المكانة الكبرى. فكنيسة برغامس مثلاً يهنئها يسوع فيقول : «أنت تتمسكين باسمي وما أنكرت ايماني حتى في زمن انتيباس ، شاهدي الأمين ، الذي قُتل عندكم في مسكن الشيطان» ، أي في الهيكل الوثني (٢ : ١٣).

وعندما يتكلم يوحنا على الشهادة ، فهو يشدّد ، لا على الوجهة النفسية (يجب أن نشهد ليسوع) ، بل على المضمون الوضعي للشهادة. فاذا أخذنا بعين الاعتبار مشهد الفارس الأمين الصادق الذي اسمه كلمة الله (١٩ : ١١ — ١٣) ، نشعر ان يسوع نفسه يشهد أمام عالم لا يؤمن بواسطة تلاميذه الذين هم شهود وأنبياء. «ان شهادة يسوع هي روح النبوءة» (١٩ : ١٠) التي تحمل كلام الله الى الناس.

مثل هذا التفسير يتوافق كلياً مع لاهوت الاستشهاد الذي ستتوسع فيه الكنيسة في القرون الأولى للمسيحية. ففي ساعة الاستشهاد ، يأخذ المسيحي صورة المسيح الى درجة يصبح المسيح وكأنه يتابع آلامه في شخص الشهيد. من هذه النظرة الروحية لنا شهادة رائعة في أعمال فيليسيتة وبربيتوا. هزئ السجان بفيليسيتة التي تتألم في السجن بسبب مخاض الولادة فقال لها : «ما يكون حالك عندما تكونين في ساحة الوحوش؟» أجابت : «الآن أنا أتألم ما أتألم ، أما هناك فآخر عني يتألم ، لأني لأجله أتألم». فالشهداء هم الذين التصقوا كلياً بكلمة الله وبشهادة يسوع بحيث تركوا نفوسهم تقاد الى النهاية على خطى الحمل المذبوح والمنتصر.

الشاهدان يمثلان الكنيسة كلها (١١ : ١ — ١٣)

ما قلناه يشكّل الخلفية التعليمية التي تساعدنا على تفسير رؤيا الشاهدين العظيمة : «فأرسل شاهدين عليهما المسوح ينبآن مدة ١٢٦٠ يوماً.

بسبب التلميحات الى حياة أخنوخ وموسى وايليا ، فكّر الشرّاح القدماء برجوع اثنين من هؤلاء الأشخاص قبل المعركة الأخيرة ضد المسيح الدجّال. ورأى بعض الشرّاح المعاصرين في الشاهدين بطرس وبولس اللذين استشهدا على يد الامبراطور الروماني نيرون.

ان هذين الشاهدَين ، رغم الطابع الشخصي لبعض ملامحهما ، لا يمثلان شخصَين فردَين ، بل الكنيسة كلها. فنحن نلاحظ في أي مكان آخر ان سفر الرؤيا يهتم بمصير الكنيسة كلها ، لا بمصير أفراد مهما بلغت قداستهم من سموّ. والمرأة في ف ١٢ تمثل أولاً الكنيسة التي يضطهدها التنين (أو الشيطان وتباعه) ويحميها الرب في البرية (هذا لا يمنع أن يكون هناك تلميح الى مريم أم الولد). والمائة والأربعة والأربعون ألف بكر من جبل صهيون لا يمثلون فئة خاصة هي فئة النساك ، بل مجموعة المسيحيين الذين رفضوا أن يتدنّسوا بعبادة الأوثان (١٤ : ١ — ٥). فالعلاقة التي تربط رؤيا الشاهدَين برؤيا المرأة (١٢ : ١ ي) تدفعنا الى القول بتفسير جماعي لرؤيا الشاهدَين.

يبيّن درس النص أن الشاهدَين يعملان معاً .

فلا نقدر أن ننسب عملاً الى واحد دون الآخر. فاذا أراد أحد ايذاءهما، خرجت نار من أفواههما (آ ٥). كلاهما يقدران أن يغلقا السماء فلا تمطر (آ ٦)، ورسالتهما تنتهي في الوقت نفسه، أي حين يصعد الوحش من الهاوية ويغلبهما (آ ٧). فالنص لا يشدّد على شخصية كل منهما، بل على تضامنهما في الشهادة. وصعودهما الى السماء يحقّق نبوءة حزقيال (٣٧ : ٥ — ١٠) المتعلقة بمصير الشعب كله.

والبرهان الحاسم على ان الشاهدَين يمثّلان الكنيسة هو الاطار العالمي للرؤيا. فآلام الشاهدين تجري في ساحة المدينة العظمى المسماة رمزياً سدوم ومصر حيث صلب ربهما (آ ٨). ولكن المدينة العظمى تعني في أي مكان آخر بابل ورومة اللتين تمثلان خلاصة المعارضة للاله الحقيقي. ان رؤيا الشاهدَين، وان احتفظت برباط لها بأورشليم، إلّا أنها تتّسع الى أبعاد تتعدّى التاريخ. وهذا ما يبرهن عنه أيضاً مرور الشعوب والقبائل والألسنة والأمم أمام جثة الشاهدَين (آ ٩). ثم ان التعارض في التواريخ يقودنا الى النتيجة نفسها. فطوال ٤٢ شهراً (آ ٢)، داس الوثنيون المدينة المقدسة، ولكن حُفظ الهيكل. والحال انه مدة ١٢٦٠ يوماً (آ ٣)، أعطي الشاهدَين قدرة رهيبة فأنبآ بكل ثقة بالنفس، رغم معاداة السامعين لها. قُتلا ولكنهما قاما بعد ثلاثة أيام ونصف يوم، فارتد الذين ظلوا أحياء بعد الزلزال (آ ١٣). فالتعارض الظاهر بين ٤٢ شهراً من الاضطهاد (آ ٢؛ ١٣ : ٥ — ٧) و ١٢٦٠ يوماً من الحماية العجائبية (آ ٣) يعني ان الرؤيا لم تجر في اطار التاريخ الزمني، بل على مستوى الرموز العالي الذي يسمو على المكان والزمان.

معنى الرؤيا

ان رؤيا الشاهدَين تبدأ باستحضار سري لهيكل الله: الساحة الخارجية تدوسها الأمم الوثنية، أما المعبد فيُحفظ ولا يُداس (١١ : ١ — ٢). لا نريد أن نلمح الى ظروف خاصة متعلقة بحصار أورشليم، كما يفعل شرّاح كثيرون، بل نقول ان يوحنا يدل هكذا على حالة خاصة بالكنيسة خلال تاريخها. تركها الله لغضبة أعدائها، ولكنه حفظها في الداخل، وهذا ما تحدّده الرؤيا اللاحقة (١٢ : ١٣ — ١٨).

وتبدأ (آ ٣) فجأة: «وأرسل شاهديّ فينبآن...» وهكذا ترتبط الشهادة بالنبوءة. نحن نربط عفوياً بين الشهادة والماضي، فرسالة الشاهد أن يُعرف بما سمع ورأى. ونربط بين النبوءة والمستقبل، فالنبي هو من يوجه الجماعة البشرية نحو المستقبل. أما ترابط الشهادة بالنبوءة، فيُدخلنا في الطابع الخاص لشهادة الكنيسة: أن تعلن ما حققه يسوع في سره الفصحي بطريقة جديدة لأن يسوع ليس هو الكائن والذي كان وحسب، بل هو ذلك الآتي.

وبكلمات قاسية مأخوذة من حياة موسى وايليا، يُبرز يوحنا مناعة الشاهدين في ممارسة وظيفتهما: «اذا أراد أحد أن يؤذيهما، خرجت نار من أفواههما فالتهمت أعداءهما... ولهما سلطان أن يغلقا السماء فلا تمطر في أيام نبوءتهما. ولهما سلطان أن يجعلا المياه دماً وأن يُنزلا بالأرض مختلف الضربات قدر ما

يشاءان» (آ ٥ — ٦). في هذه التلميحات الى ضربات مصر والى عجائب ايليا (٢ مل ١ : ١ ؛ ١٤ ؛ ١ مل ١٧ : ١)، نرى ان كلمة الله تعمل كسيف ذي حدّين (١ : ١٦ ؛ ٢ : ١٩ ؛ ١٩ : ١٥) وهي قوة خلاص لمن يسمع وقوة موت لمن يرفض قبولها.

ولكي تمر في أفواهها «شهادة يسوع»، يجب على الشاهدَين أن يقبلا أن يكون مصيرهما شبيهاً بمصير سيدهما. هو صلب وهما يموتان شهيدَين في أورشليم المدينة العظمى (آ ٣). ولكنهما مثله، لن يبقيا تحت سلطة الموت، لأن «روحاً حياً آتياً من الله» يُصعدهما الى السماء (آ ١١). وبما أنهما قبلا أن يقدما نفسيهما، فسيعود بهما الله الى النصر، ويحدث ارتداد قسم من الناس الذين ظلوا على كفرهم (آ ١٣). ما يبدو واضحاً هو ان الرؤيا لا تتم في اطار الزمن الذي نعرف، بل تكشف قطبَي حياة الكنيسة : اشتراك في سر الموت وفي انتصار حصل في مبدئه، عدم جدوى ظاهر للرسالة بوجه عالم معاد (آ ٧، ٩) وقوة قاهرة ساعة يبدو وكأن كل شيء قد ضاع.

بعد تنصيب يوحنا ثانية كنبي للأمم (ف ١٠)، تقدم لنا رؤيا الشاهدَين بطريقة رمزية شهادة الكنيسة عبر الزمن. شهادة ستتم بطريقة اجماعية بثبات وعناد أمام سخرية الشعوب ومحاولات الوحش المجرمة. سيكشف ف ١٢ — ١٣ عن هوية الوحش ويشدّدان على القول ان الله يمنح الحماية للكنيسة في أحرج أوقاتها.

٢. الخدم في الكنيسة

عندما يقدّم يوحنا تعليمه النبوي للكنائس، فهو لا يهتم أن يرسم لوحة بالمؤسسات القائمة، ولا أن يحدّد وظيفة هذا أو ذاك. انه يدعو كلاً من الكنائس السبع الى فحص ضمير جماعي. فملاك الله الذي نرى من خلاله أسقف المدينة هو قبل كل شيء ممثل الجماعة وهو يقاسمها تهاني وملامة ذاك «الذي يمسك بيمينه الكواكب السبعة» (٢ : ١).

ولكن هناك اشارات متفرقة في الكتاب تساعدنا على التعرّف الى خِدَم تسهم في حياة الكنيسة. فرؤية المدينة السماوية تحمل تلميحاً دقيقاً الى الدور الفريد الذي يلعبه الرسل : «ويقوم سور المدينة على اثني عشر أساساً، وعلى كل أساس اسم من أسماء رسل الحمل الاثني عشر» (٢١ : ١٤). هذه الصورة عن الرسل، الذين هم أسس، تطابق نظرة جوهرية في العهد الجديد : في الكنيسة يتحقق انتظار أورشليم الجديدة والهيكل الجديد الذي ما زال منذ اشعيا الثاني يجتذب أنظار بني اسرائيل. وحين أطلق على سمعان لقب «كيفا» (أي الصخر)، دل يسوع على أنه أراد أن يقيم هذه الأسس. ثم ان لقب «أعمدة» المطلق على المسؤولين المسيحيين (غل ٢ : ٩) يلفت أنظارنا الى هيكل في طور البناء، والرسالة الى أفسس تدعو المسيحيين الى الدخول في الهيكل الجديد. «دخلتم في بناء أساسه الرسل والأنبياء وحجر الزاوية هو يسوع المسيح نفسه، لأن به يحكم كل بناء ويرتفع ليكون هيكلاً مقدساً في الرب» (اف ٢٠ : ٢).

وسفر الرؤيا ، كالرسالة الى أهل أفسس ، يبيّن أهمية الطابع الجماعي والنهائي لشهادة الاثني عشر. فلا بناء يثبت ، إن لم يكن من توازن في الأسس.

يومَ كتب يوحنا سفر الرؤيا ، كان وعاظ عديدون يتنقلون من جماعة الى جماعة ويسمّون أنفسهم تارة رسلاً (٢ : ٢ ؛ ديداكي ١١ : ٣ ، ٤ ، ٦) ، وتارة أنبياء (ديداكي ١١ — ١٣) ، ولكن يوحنا ، وان جعل نفسه شريكاً لاخوته الأنبياء (٢٢ : ٩) ، إلّا أنه يشدّد على ضرورة التمييز. فعندما هنّأ كنيسة أفسس على ثباتها ، كتب لها : «امتحنت الذين يزعمون أنهم رسل ، وليسوا برسل ، فوجدتهم كاذبين» (٢ : ٢).

فكما نرى من خلال رسالة يوحنا الأولى ومن خلال الرسائل الرعاوية (١ تم ، ٢ تم ، تي) ، كانت مشكلة تمييز الأرواح موضوع الساعة في نهاية القرن الأول المسيحي ، عندما بدأت شيعة الغنوصيين تنمو. فلا بدّ لنا هنا من أن نعيد قراءة التلميحات التي تتضمنها الرسائل الى الكنائس السبع. فالنيقولاويون يعلّمون تعاليم ممقوتة (٢ : ٦ ، ١٥) ، وايزابيل النبية الكاذبة تضلّ المسيحيين في تياتيرة وتحضهم على عبادة الامبراطور (٢ : ٢٠). ويشدّد يوحنا فيذكّر بعدم توافق الانجيل وعبادة الامبراطور التي هي ادعاء السلطة السياسية لأن تكون كل شيء بالنسبة الى الانسان. بعد أن تولى يوحنا الرسالة النبوية في رؤية ابن الانسان ، قدم نفسه على أنه أكبر وآخر أنبياء الوحي الكتابي. وعى الطابع الحاسم والمفروض لرسالته (٢٢ : ١٨ — ١٩) فلمّح أيضاً الى أنبياء الكنيسة في زمانه (٢٢ : ٦). نحن نتردد في أكثر المرات أمام هوية من يدعوهم أنبياء. يهتف الأربعة والعشرون شيخاً ، عندما يُنفخ في البوق السابع : «لقد أتت الساعة التي فيها تدين الأموات ، الساعة التي فيها تكافئ عبيدك الأنبياء والقديسين والذين يتقون اسمك صغاراً وكباراً ، وتهلك الذين عاثوا في الأرض خراباً» (١١ : ١٨). ان عبارة «عبيدك الأنبياء» نقرأها مرات كثيرة في أسفار العهد القديم ، وهي تدل على الأنبياء الحقيقيين الذين سيُضطهدون ، فيبكي الناس عليهم. في اتهام خطير يطلقه يسوع في خط تقليد قديم ، يصف أورشليم بأنها المدينة التي تقتل الأنبياء وترجم مرسلي الله اليها (مت ٢٣ : ٣٧). فالربط المتواتر بين الأنبياء والشهداء في الرؤيا نفهمه ، عندما نقرأ أمثلة دقيقة ومنها : «اشمتي يا سماء بخراب بابل ، واشمتوا أيها القديسون والرسل والأنبياء ، لأن الله حكم عليها فأنصفكم منها» (١٨ : ٢٠ ؛ رج ١٦ : ٦ ؛ ١٨ : ٢٤).

أنبياء الكنيسة هم شهداء الحمل ومعلنو دينونته. فيجب أن يكونوا مستعدين لأن يسفكوا دمهم ثمناً لأمانتهم له. ولكن عملهم الملموس يبقى في الخفاء. يمكننا أن نرى فيهم معاوني يوحنا في كرازته. هذا هو معنى الخاتمة التي فيها يرفض الملاك الموحي سجود يوحنا. قال : «لا تفعل. أنا عبد مثلك ومثل اخوتك الأنبياء والذين يحفظون كلام هذا الكتاب» (٢٢ : ٩). وانطلاقاً من معطيات أخرى في العهد القديم ، لعب الأنبياء دوراً هاماً في بناء الجماعات وتحريضها وتشجيعها (١ كور ١٤ : ٣). وبحسب المثل الذي يعطيه سفر الرؤيا دوماً ، ينطلق تعليمهم من أقوال العهد القديم فيكشفون

رسالة نبوية في كل الكنيسة

يميز المجمع الفاتيكاني الثاني الرسالة النبوية لكل الكنيسة بكلمات قريبة من كلمات سفر الرؤيا، فيقول في دستور «نور الأمم» عدد ١٢ ما يلي: يشارك شعب الله المقدس أيضاً في مهمة المسيح النبوية، فينشر قبل كل شيء شهادة حية بعيش ايمانه ومحبته، ويقرّب لله ذبيحة الحمد، ثمرة شفاه تعترف باسمه (رج عب ١٣ : ١٥). ولما كان لجمع المؤمنين مسحة من القدوس (رج ١١ يو ٢ : ٢٠، ٢٧) فإنهم لا يستطيعون أن يضلوا في الايمان.

مضمونها ويدلّون على كمالها في شخص المسيح. هم شهود الحمل، ولذلك يشجبون ادعاء القيصر لأن يُعبد، ويثيرون الشوق عند الناس الى لقاء المسيح. يقول الروح والعروس: تعال. من سمع فليقل. تعال. لا شك أن نمو الأناشيد المسيحية التي حفظ لنا سفر الرؤيا بعضاً من آثارها يعود الى عمل الأنبياء.

* * *

الخاتمة: سفر الرؤيا قليل الوضوح بالنسبة الى تنظيم الكنائس، ولكنه يبدو قبل كل شيء تعليماً يشدّد على أمانة لا تراجع عنها في ساعة الاضطهاد. رغم الظواهر، لا يغلق سفر الرؤيا المسيحيين على أنفسهم، كما لو كان العالم كله الى ضياع. فلا كتاب من كتب العهد الجديد يشدّد، كسفر الرؤيا، على شمولية أورشليم السماوية التي ستتقبل الشعوب والألسنة المتعددة. اذاً رسالة الشاهدين تسير مسيرتها على وجه العالم كله.

لا شك في أن سفر الرؤيا لا يأتي بأجوبة عن المسائل التي تطرحها الرسالة في العالم الحاضر، ولكننا لا نستطيع أن ننسى الأمثولة التي يلقننا إياها يوحنا المنفيّ في جزيرة بطمس. انه يدعونا الى تعلق شخصي بالحمل، الى تعلق لا تصدّع فيه ولا تردّد. بهذا الثمن وحده تُسمع شهادة الكنيسة وتندفع الشعوب للارتداد الى الرب (١١ : ١٣).

أيها الآب
المجد الذي أعطيته ليسوع
أعطانا إياه
لنكون واحداً
كما أنت وهو واحد
هو فينا وأنت فيه
ردة: فنرى وجهك
ويكون وجهك نوراً على وجهنا
لأنه لن تكون لعنة من بعد
بل ابتهاج في الروح والحق
أيها المسيح
ادع عبيدك
على حسب وعدك
باسم جديد
أعطيتهم اياه
أنت يا مَن يصنع سماء جديدة
وأرضاً جديدة
ردة: فنرى وجهك...

الليتورجيا في سفر الرؤيا

سفر الرؤيا كتاب دم ونار، على مثال عالمنا، وهو مضمّخ بالصلاة. نشيد الشكر ينبع من كل صفحة من صفحاته فيجعل من هذا العالم المكان الذي نحتفل فيه بالهنا بالايمان. ولكننا لسنا أمام صلوات فردية، بل أمام صوت قوي تطلقه الليتورجيا المسيحية.

* * *

بخور، مذبح، خدام يسمون أحياناً كهنة. مشاركون يركعون، يسجدون، ينشدون مجد الله وعمله في يسوع المسيح بأناشيد، تحمل طابعاً تقليدياً جداً... هذا الطابع الليتورجي يبدو بوضوح حتى للقارئ غير المطلع. ونشعر أحياناً أننا أمام حوار ليتورجي بين خادم المعبد وجماعة تجيب. وكثير من هذه الأقوال (قدوس مثلاً) تدخل اليوم في أجزاء أساسية من الليتورجيات المسيحية.

من هنا يتساءل الاختصاصيون هل من الواضح أن سفر الرؤيا يتضمن أقوالاً ليتورجية. أما يجب أن نكتشف فيه تلميحات وأموراً مستعارة من ليتورجيات حقيقية أخذت بها الكنائس المسيحية في القرن الأول المسيحي؟

ولكن كيف نتعرّف الى نص أو الى تلميح الى عبارة ليتورجية؟ لو عرفنا هذه الليتورجيا أو تلك، لهان الأمر، غير أن ما نعرفه من الليتورجيات القديمة في المسيحية يقتصر على أشياء قليلة. ولكننا سنفيد قدر الامكان من هذا القليل ونتّبع أسلوباً خاصاً. فمن اليقين الذي تحققنا منه مراراً أن الصيغ والنصوص والعادات الليتورجية ثابتة لا تتبدّل... فالليتورجيا اليهودية التي عُمل بها في القرن الأول المسيحي معروفة (كذلك نقول عن الليتورجيات المسيحية بعد القرن الرابع ب. م.). فإن استطعنا أن نبرهن أن هذه ترتبط بتلك وان نصوص سفر الرؤيا تقع بين الليتورجيا اليهودية والليتورجيات المسيحية، أمكننا أن نعتبر أننا أعدنا بناء الحلقة الليتورجية في تطورها، ونكون قد أبنّا الطابع

الليتورجي لمقاطع نقرأها في سفر الرؤيا. وسنحاول أن نطبق هذا الأسلوب على ف ٤ — ٥ ، ٢٢ من سفر الرؤيا.

١ . العبادة الليتورجية: تسبيق للملكوت

الاحتفال الذي نقرأه في ف ٤ ينتهي بفعل شكر الله الخالق. واذا عدنا الى التقليد، نعرف ان فعل الشكر النهائي يستعيد، في ملخّص، الموضوع الموسّع سابقاً. فهل لبداية ف ٤، الذي يصوّر عبادة السماء، علاقة بالخلق؟ المشهد مأخوذ بطريقة شبه حرفية عن المشهد الأول للنبي حزقيال. ولذلك، يكفي أن نقابل بين حز ١ وبين رؤ ٤ : ١ — ٨، لنقتنع بالأمر. في كلا النصين، نجد مشهد العرش والجالس عليه شخص سري تحيق به النار وتحيط به قوس قزح، ثم حضور أربعة أحياء أو حيوانات (تشبه الانسان والأسد والثور والنسر). وفوقها جَلَد مضيء كالبلور (البحر السماوي في تك ١ : ٧).

نحن نعلم أن اليهودية في عصر يوحنا فسّرت نص حزقيال هذا بالنسبة الى الخليقة بأحيائها الأربعة الذين يشكلون عناصرها الأساسية. يبدو اذاً من المعقول انه يجب أن نفسر رؤ ٤ : ١ — ٨ بالمعنى نفسه. ففعل الشكر الأخير يلخّص التعليم الذي توسع فيه النص.

ونعود الآن الى فعل الشكر في آ ٨ الذي هو عنصر رئيسي وهو نشيد **قدوس**.

قدوس، قدوس، قدوس الرب الاله القدير الذي كان والكائن والذي يأتي.

نبحث عن أصل **قدوس** في اش ٦ : ٣ قدوس، قدوس، قدوس يهوه (الرب، كيريوس في اليونانية) الصباؤوت. الأرض كلها مملوءة من مجده. يردّد رؤ ٤ : ٨ نص اشعيا ولكنه يبدل فيه. لماذا هذا التبديل؟

قدوس نشيد نجده في أقدم الليتورجيات المسيحية المعروفة، وقد حُفظ في الكتاب الثامن من «الدساتير الرسولية» (دُوِّن في القرن الرابع، ولكنه احتفظ بنصوص ليتورجية قديمة).

واليك عناصر الصلاة الكبرى التي نجده فيها.

١ — مديح للآب والابن من أجل الخلق
٢ — الخَلْق
٣ — آدم
٤ — تاريخ شعب اسرائيل
٥ — مقدمة قدوس ثم قدوس

وليس هذا الرسم اختراعاً مسيحياً، بل نجد له أثراً في الليتورجية اليهودية، وبالأخص في العبادة الصباحية التي تنبسط على الشكل التالي:

ياصر كلمة عبرية تعني الخالق: نبارك الله الخالق، نباركه من أجل عطية الشريعة.

شمع كلمة عبرية تعني اسمع: تلاوة تث ٦ : ٤ : اسمع يا اسرائيل، ان الرب الهنا واحد... وهذه الآية تلعب دور النؤمن في اليهودية.

جأله كلمة عبرية تعني الفداء: نبارك الرب للفداء الذي نجد مثاله النبوي في حدث الخروج من مصر. سنعود الى هذه المحطات الليتورجية، ولكننا نتوقف على ياصر. المؤمن يبارك الله، خالق كل شيء، ويعلن اسمه القدوس، ويجيب الى هذا

ياصر والبركة

ياصر: مبارك أنت، أيها الرب الهنا، يا ملك الكون. أنت كونت النور وخلقت الظلمة. أنت تهب السلام وتخلق كل شيء (رج اش ٤٥ : ٧). أنت تنير الأرض وتجدّد يوماً بعد يوم عمل خلقك. ما أكثر أعمالك يا رب. صنعتها جميعها بالحكمة، فامتلأت الأرض من غناك (مز ١٠٤ : ٢٤).

البركة (قدوشة. راجع كلمة قدوس. في العربية قدَّس تعني أيضاً بارك) مبارك أنت يا صخرنا، ويا ملكنا وفادينا وخالق القديسين. ليُمدح اسمك الى الأبد، يا ملكنا وخالق الكائنات لخدمتك. عبيدك يقفون في علو أبدي ويعلنون بخوف وبصوت واحد كلمات الاله الحي... كل المحبين، كل المختارين... يفتحون أفواههم بقداسة وطهارة بالنشيد والنغم، فيباركون ويمدحون ويمجدون ويعبدون بخوف ويعلنون اسم الله الملك قدوساً وملوكياً... كلهم بصوت واحد يجيبون ويقولون: قدوس، قدوس، قدوس يهوه الصباؤوت. امتلأت الأرض من مجده (اش ٦ / ٨) والمجلات (أي الملائكة) والأحياء القديسون يجيبون الى السارافيم برعدة عظيمة فيقولون: مبارك مجد يهوه من مكانه (حز ٣ : ١٢).

الاعلان جماعة من الملائكة والحيوانات الوارد ذكرها في حزقيال (ف ١).

تربط الليتورجيا اليهودية اذاً بين **قدوس** والاحتفال بالله الخالق. والليتورجيا المسيحية، كما نقرأها في الدساتير الرسولية، تتبع هنا النموذج اليهودي الذي يعود الى رؤيا حز (ليقدم لنا إله الخلق. وسفر الرؤيا الذي يقدّم **قدوس** هو العقد الوسط بين النص اليهودي والنص المسيحي).

وهكذا نستنتج أن حركة الليتورجيا في رؤ ٤ ليست مجرد اختراع، بل نقطة وصل بين الليتورجيا اليهودية والليتورجيا المسيحية اللاحقة، بل هي ليتورجيا حقيقية عملت بها الجماعات المسيحية الأولى في نهاية القرن الأول المسيحي.

رؤ ٥ تشكل وحدة مع الفصل السابق، وسنحاول أن نفسّر هذا النص الجديد بحسب الأسلوب الذي اقترحناه.

المسألة الأولى تكمن في أن نجد معنى هذا الكتاب السري الذي يحتل مكانة كبرى في هذا الفصل. ماذا نقرأ؟ الحمل وحده يستطيع أن يفتح هذا الدرج الذي يتضمن كلمة الله المقدمة إلينا في وجهتين: الخارج والداخل، أي الواضح والخفي. هاتان الميزتان تقودانا طبيعياً الى التعرف في هذا الكتاب الى الشريعة، الى العهد القديم، وقد قال فيه المسيحيون الأولون انه كتاب نستطيع أن نقرأه حرفياً دون أن ندرك معناه الحقيقي الذي لا يكشفه إلا المسيح (لو ٢٤ : ٢٧، ٤٥؛ ٢ كور ٣ : ١٤ — ١٦).

نأخذ هذا التفسير كمجرد افتراض عمل ونعيد

قراءة هذا الفصل الخامس : ينقل المشهد ان العهد القديم يقدِّم للمشاركين في شعائر العبادة وان المسيح وحده يقدر أن يفهمنا معناه. فإذا كان الافتراض صحيحاً، فالمقابلة مع الليتورجيا اليهودية التي ألمحنا إليها أهل لأن تتابع الآن، والأمر صحيح. فبعد مباركة الخالق وتلاوة قدوس، تتوالى الليتورجيا اليهودية ببركة لأجل الشريعة (التي هي أقدس نواة في العهد القديم). وبعد تلاوة «شمع» الملخِّص لارادة الله، تأتي البركة لأجل الفداء الذي أعلن عنه بطريقة نبوية بحدث الخروج من مصر.

ونواصل قراءة رؤ ٥ : فالذي يفتح الكتاب هو الحمل، الحمل المذبوح على مثال حمل الفصح المصري الأول. المسيح هو الذي يكشف ويتم النبوءة المتضمنة في هذا التحرر الذي فيه ذبح العبرانيون الحمل قبل الخروج من أرض العبودية. ولهذا تحتفل ٥ : ٩، على مثال الليتورجيا اليهودية، بالفداء الذي تم بواسطة الحمل الذي يقر المسيحيون انه يختلف عن الحمل الفصحي، لأن ذبحه لم يكن النهاية الأخيرة، والفادي يقوم منتصباً حياً ناهضاً من الموت.

وهكذا نستطيع أن نجمل معنى هذين الفصلين: مع المسيح ينفتح كل العهد القديم ويستنير. فالخلق والخروج من مصر يتخذان معناهما الحقيقي الكامل. ليس تاريخ شعب اسرائيل إلا نبوءة، وهي تتم الآن. الخلق والفداء الفصحي أنبأا بالخلق الجديد والفداء الكامل، أنبأا بعمل المسيح العجيب. وفوق ذلك، فالفداء كخلق جديد أنبئ به عبر الخلق الأول.

رؤ ٤ — ٥ يرتبطان بليتورجيا مسيحية استوحت عناصرها من نموذج يهودي. نحن لا نضمن أننا نملك كلمات هذه الوثيقة القديمة بسبب اللباس الذي جعله سفر الرؤيا على النص الليتورجي الأول. ولكن ما نعرفه يكفي لنقدّر حضور مثل هذا النص في الرؤيا.

عندما تنفتح السماوات للكشف الأخير، يكتشف المسيحيون المعنى الحقيقي والبعد الواقعي للعبادة التي يحتفلون بها بطريقة منظمة. هم يسمعون ليتورجيتهم المنشدة أمام الله ويفهمون أنها تسبيق للملكوت، للنهاية. فالنهاية هي الآن هنا في العبادة حيث يكشف يسوع عن نفسه انه هو الذي يحقّق مخطط الله. الخلق يعلن حبه. الخروج من مصر الذي هو تحرّر الشعب وخلقه من جديد هو مثل الفداء الفصحي الكامل. تلك هي الكلمة الأخيرة، الكلمة التي تعلنها نهاية العالم. وكلمة النهاية هذه هي : يسوع المسيح.

٢ . **ماراناتا ، تعال أيها الرب**

يسوع حاضر معنا.

ينتهي سفر الرؤيا بهذه الصلاة : «تعال أيها الرب يسوع». ويلي هذه الصلاة تمنّ بالخير : «فلتكن نعمة ربنا يسوع معكم أجمعين» (٢٢ : ٢٠ — ٢١).

ماراناتا عبارة آرامية، وهي لغة أهل فلسطين في ذلك الوقت، نجدها أيضاً في نهاية رسالة القديس بولس الأولى الى أهل كورنتس (١٦ : ٢٢) : «ان كان أحد لا يحب الرب فاللعنة عليه. **ماراناتا**. ولتكن نعمة الرب يسوع معكم... آمين».

نحن هنا ، كما في الرؤيا ، في خاتمة كتاب ، وفي كلتا الحالتين يلي **ماراناتا** تمنّ بالخير. نحن نعجب عندما نجد كلمة آرامية غير مترجمة في رسالة يوجهها بولس الرسول الى جماعة مكوّنة من مسيحيين من أصل غير يهودي. هذا يعني انه ، بالنسبة الى جماعة تتكلم اليونانية ، هذه الكلمة كانت معروفة بحيث لم تحتج الى تفسير[1] . ولكن بأية قناة مرت فيها عبارة صلاة آرامية مباشرة الى جماعة يونانية ، إن لم تكن القناة الليتورجية؟ أما نجد مسيحيين يعرفون كلمات سريانية أو يونانية أو لاتينية؟ هم لم يدرسوا هذه اللغات ، ولكن بعض الكلمات انتقلت إليهم في الاطار الليتورجي وعلقت في ذاكرتهم.

ونعود الى الجملة الغريبة التي تحمل الاحتفال والتهديد والتي تسبق **ماراناتا** في النص البولسي: «ان كان أحد لا يحب الرب فاللعنة عليه».

هنا نورد نصاً يعود الى المسيحية الأولى ، وهو يتضمن أيضاً **ماراناتا** . **هو الديداكي أو تعليم الرسل الاثني عشر**. فالحوار الأخير في صلاة الأوخارستيا يتضمن العناصر الآتية: تمنّ بالخير يتبعه هتاف ودعوة ، وأخيراً **ماراناتا** وآمين النهائي.

كنا توصلنا الى التعرف الى الطابع الليتورجي **لماراناتا** وحضوره في حوار ليتورجي يثبتنا في يقيننا. ونزيد ان الحركة الليتورجية التي تدلنا عليها الديداكي تساعدنا على إلقاء أضواء جديدة على نص بولس الرسول. فعبارة التهديد هي نصف من مجموعة ، ويمكننا أن نعيدها الى أصلها بحسب النموذج الذي تقدمه الديداكي: «من يحب الرب فليأت. من لا يحب الرب فاللعنة عليه. ماراناتا».

من المعقول ان مار بولس استعمل العبارة الليتورجية نفسها.

أخيراً وبفضل الديداكي ، نعرف ان مكان **ماراناتا** كان في ليتورجيا خاصة هي الليتورجيا

الصلاة الأوخارستية في الديداكي

الديداكي (كلمة يونانية تعني التعليم) هي مجموعة ، عنوانها الكامل: تعليم الرسل الاثني عشر. وهي تضم كتاب تعليم أخلاقي وسلسلة من الفرائض المتعلقة بحياة الجماعة وخدامها واحتفالاتها الليتورجية. دُوّنت ولا شك في بداية القرن الثاني ب. م ، أي بضع سنوات بعد سفر الرؤيا. الفصل العاشر فيها مخصّص للأوخارستيا. في نهاية الصلاة الأوخارستية ، نقرأ هذا الحوار الليتورجي:

المترئس: لتأت النعمة وليعبر هذا العالم

الجماعة: هوشعنا لاله داود

المترئس: اذا كان مقدساً فليقترب والا فليتُب

الجماعة: آمين.

(١) عبارة ماراناتا مؤلفة من كلمتين نقرأهما بطريقة مختلفة أو مارانا تا (في العربية بصيغة أمر فعل أتى) وهي صلاة: تعال أيها الرب ، أو ماران أتى (أتى في العربية) وهو اعلان ايمان: ربنا أتى. الرب هو هنا.

الأوخارستية. هذا التحديد مهم وهو يساعدنا على القول ان الوقت المهم هو وقت الصلاة لمجيء الرب والتأكيد على مجيء الرب وحضوره (بحسب المعنيين لعبارة ماراناتا). وانطلاقاً من هذا العنصر المركزي، نفهم الدعوة والتحذير (أو التهديد). في الأوخارستيا يلتقي الانسان ربه الذي هو مخلصه وديّانه. ولهذا فالمسيحي مدعوّ الى تقبّل الخيرات المقدّمة له والمتمثلة بالخبز والخمر، وهو يلتقي التحذير، بل التهديد، لأنه، كما يقول بولس الرسول، يجب ألّا نأكل الخبز ونشرب الخمر ونحن غير أهل لهما (١ كور ١١ : ٢٧).

بعد هذه الدورة، نعود الى نص الرؤيا. فوجود ماراناتا يدل على تأثير ليتورجي مهم. ونحن نجد دعوة في ٢٢ : ١٧ : «مَن كان عطشان فليأت ومن كانت له الرغبة فليستق ماء الحياة مجاناً». ١٨ — ١٩ تكيّفان التهديد المستعمل في خاتمة الكتاب، ثم تأتي **ماراناتا** مترجمة الى اليونانية. وهكذا تبدو خاتمة الرؤيا شرحاً مسهباً لليتورجية أوخارستية لا نقدر أن نعيد كلماتها بدقة، ولكننا نعرف تحركها وقصدها. هذه الليتورجيا دُوّنت في الديداكي وعُرفت في سفر الرؤيا، فجاءت قريبة من الجماعات البولسية. فهي اذاً من أقدم النصوص المسيحية المعروفة. اذاً بأي اهتمام وبأي احترام نردّد هذه المقطوعة القديمة!

ثم اذا كان صاحب الرؤيا قد اختار أن يُنهي كتابه بهذه العبارة الليتورجية، فهذا ليس من قبل الصدف. فالرؤيا الأولى في ف ٤ — ٥ تخفي هي أيضاً أساساً ليتورجياً. واذا درسنا الكتاب كله، بدت أمامنا نصوص ليتورجية أخرى. اذاً مثل هذه الظاهرة الثابتة لا بدّ انها قابلت يقيناً لدى الكاتب لا بدّ من اكتشافه.

٣. معنى العبادة انطلاقاً من سفر الرؤيا

يردد صاحب سفر الرؤيا في الصفحة بعد الصفحة، وفي لغة نستقر بها اليوم، ما كانت تعلنه احتفالات الكنيسة الليتورجية على المؤمنين ليحيوا بها. بهذا المعنى ليس سفر الرؤيا إلا تفكيراً في العبادة ومحاولة لاستكشاف معنى يتجاوز بلا حدود النظرات العادية بما فيها من تفردية وشخصانية.

يذكّر سفر الرؤيا هؤلاء المسيحيين المهددين من كل جانب وسط عالم معاد، بيقين الانجيل العظيم: يسوع آتٍ، انه هنا حاضر حقاً معكم. يمكنكم أن تنتظروه بتأكيد، لأنكم منذ الآن تلتقونه، كما سيكون يوم ظهوره الأخير. فالعبادة تذكرنا بهذا والليتورجيا تحتفل به والأسرار تعطينا عنه العلامات المنظورة.

هذا هو توضيح هذا التأكيد القديم كالليتورجيا: العبادة هي تبسيط للنهاية، للدينونة، للملكوت. بعد هذا كيف نعجب أن تحاول الرؤيا أن تعلن ان هذه النهاية تعود دوماً الى هذه الليتورجيات لتتوسع في تعليمها الحقيقي. هناك علاقة عميقة سرية بين هذين الفنين الأدبيين المختلفين: الفن الجلياني والفن الليتورجي. كلاهما يتكلّمان على النهاية التي اسمها يسوع المسيح.

ولهذا يجب ألّا نؤخَذ بفخّ الظواهر ونقرأ سفر الرؤيا، كما نقرأ أية رؤيا يهودية كتبت في زمن يوحنا. فكتابه لا علاقة له بهذه الكتب الخيالية إلّا من جهة الكلمات والصور والرؤى، أي من جهة الشكل.

أما من جهة المضمون ، فلا مقابلة بين رؤيا يوحنا وسائر الرؤى. رؤيا يوحنا لا تعظ على القلق أمام نهاية عالم مخيفة أو على نفاد صبر ، بعد أن تأخر تدخل الله المنتقم. الرؤيا تتوجه الى أناس يعرفون (أو عليهم أن يعرفوا) ان انتظار النهاية انتظار أكيد ومفرح. هم يعرفون كلمة الله الأخيرة في يسوع المسيح ، تلك التي لا يستطيع أحد أن يعيد النظر فيها والتي هي حب وحياة. هم يختبرونها في حياتهم اليومية ، لأنهم يلتقون الرب الحي الآتي اليهم ، وهذا ما تذكرهم به العبادة. اذاً هذا الرب الحي والحاضر الذي ينتظرون كشفه الممجد سيكون هو النهاية.

لهذا ، بجانب كلمات سرية وأسلوب جلّياني ، عاد كاتب سفر الرؤيا الى لغة أخرى ليستطيع أن يعبّر عما يعتبره أهم شيء في تعليمه ، عاد الى لغة العبادة التي تعرف أن تعبّر عن اليقين الحاضر المفتوح على انتظار كمال الملء لما نحن اليوم بواقعه كتسبيق لما سيكون : كلمات الليتورجيا وبالأخص **ماراناتا**.

وحينئذ فليس الشكل الجلّياني إلا إناء لوعد عجيب ، لانجيل كبير. **ماراناتا** ، **تعال يا رب** ، تلك هي صلاة كنيسة تتوجه الى ربها متأكدة انه يجيب الى ندائها لأنه جاء ، لأنه حاضر ، لأنه هنا.

الله الآتي

حين تخرج في شارع ضيق، تجد نفسك فجأة أمام بوّابة كنيسة شارتر (في فرنسا) ترش عليك الأنوار وسط المدينة القائمة في العتمة، وتتوقف مبهوراً، وتودّ أن تحيط بلمحة عين العواميد والعقود. ولكن كل ما في الكنيسة يعود بنا الى المركز الوحيد حيث يجلس مسيح الوقار على عرشه. هذا هو مشهد الرؤيا. فالعالم بأحيائه الأربعة، والأربعة والعشرين شيخاً والملائكة والقديسين، قديسي العهد القديم وقديسي العهد الجديد، الرسل وجميع المؤمنين الذين لا اسم لهم، كلهم أمامنا.

مشهد الرؤيا... حسبنا أننا أمام كوارث. ولكن رؤيا يوحنا في هذه البوابة المقدسة. في ظلال المدينة يعيش أناس بآمالهم وحبّهم ومآسيهم اليومية. أناس يحيون وأناس يموتون. الشر هنا يأتي على أثير الكون حروباً وجرائم وحباً وبغضاً. الشر هو في العالم وفيّ. صراخ اليأس في المستشفى، وعزلة الشحاذ الذي يستعطي. الظلمة تخرج من الحيوانات المعروفة بقساوة عضتها. والوحش الاقتصادي والايديولوجيات الزاحفة التي تتسرب إليّ لتدعوني الى العنصرية والأنانية والعنف... كل شر الكون هو هنا، ومع ذلك نحن نعرف ان السلام هو هنا. انسان هنا يحيط به المجد، اله هو يرفع يده.

هذا هو اليقين الذي يريد سفر الرؤيا أن يزرعه فينا. المسيح انتصر، لا انتصار النعامة السهل التي تضع رأسها في الرمال فتستتر عن الواقع، بل انتصار قاس لمحارب مخضب بدمه. فيه قهر الشر. هنا نعلم، بل نرى، كما يقول يوحنا، ان العالم والبشرية مدعوان الى الجمال، وان هذا الجمال يعيد يوماً، بل منذ اليوم، خلق الكون من جديد.

نود أن نستعيد بعض ملامح وجه الله في الرؤيا فنتأمل فيها.

واحد: على بوابة كنيسة شارتر رُسم المسيح له وجه بشري. أما حضور الآب والروح، **فهو**

حضور خفي ، وهذا الحضور سيجعلنا نشعر به عبر الصور والرموز .

عندما تنفتح السماوات يرى يوحنا عرشاً ، وهذا العرش يملأ سفر الرؤيا . عرش لا نستطيع أن نتمثله لأنه نار ، لمعان زمرد ، نور باهر . انه الكون كما تنسجه الحيوانات الأربعة حول الوسط . انه الحمل الواقف في الوسط .

وعلى العرش يجلس... لا اسم... فعل من دون فاعل ، لأننا لا نسمي الله فنحيط به ، ولكننا نعرف انه وحده يستطيع أن يجلس فوق الخليقة . الله هو **الخالق** ، الكائن والذي كان . وأمامه الكون بأقطاره الأربعة (كما يقول حزقيال) يتحول الى سرافيم اشعيا لينشد المديح . وهو أيضاً **إله الخروج** ، الاله المخلص الكائن والذي كان والذي يأتي ، فتهتف له أصوات الشيوخ وأصوات البشرية المقدسة . الله هو الذي يجازف بنفسه في تاريخنا بكل مجيء له ، أكان عجيباً أو حميماً ، كما يقول الكتاب ، فيتعرّف إليه المؤمن على مرّ العصور . وأخيراً الله يأتي إلينا في شخص ابنه .

الحمل المذبوح : الحمل هو اسم علم ليسوع في سفر الرؤيا وهو يحمل سره كله . الحمل هو هذا الانسان يسوع الناصري الذي ما زال يحمل علامات جراحه على الصليب ، وقد صارت ممجدة . وهو واقف ،كما في القيامة ،وهو ممجّد في قلب الله بالذات ، وهو يجلس على عرش الله . والروح ، بشعلاته السبع التي هي اشعاع حياة الله ، صار نوراً ينير يسوع من الداخل ، وبأعينه السبع يجعله يرى كل شيء في نور الله . فالأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس صار منذ تجسّده وسره الفصحي انساناً مثلنا .

صار انساناً يقود في مصيره كل البشرية التي تحتفل به ، والشيوخَ والمائة والأربعة والأربعين ألفاً والجماعة التي لا تُحصى والكون الذي يحيط به كهالة .

هذا الاسم ، أي الحمل ، ساعد يوحنا على أن يقرأ نصوصاً عديدة من العهد القديم فيؤلف بينها . يسوع هو حمل الفصح الذي أعطى بذبيحته في الماضي الخلاص للشعب في أيام الخروج ، هو الحمل الذي عقد بدمه عهد سيناء بين الله والبشر . ولكن الحمل لم يكن إلا حيواناً يقدّم أو هو غير واعٍ للخلاص الذي هو وسيلته ، ولهذا أعاد يوحنا قراءة سفر الخروج عبر اشعيا الثاني (اش ٤٠ — ٥٥) .

هذا الحمل هو **العبد المتألم** (اش ٥٣) الذي جعل من موته ذبيحة ارادية ، وبهذه التقدمة المقبولة صيّر الله عبده عهداً جديداً في نهاية خروج جديد . بواسطة هذا العبد المتألم ، يستطيع الناس أن يكوِّنوا شعباً كهنوتياً طلب إليه أن يعطي معنى للعالم اذ يدفعه الى مديح الاله الذي يخلصه .

ولكن هذا الحمل صار **الراعي** الذي يحدثنا عنه حزقيال (٣٤ : ٢٣) ، الراعي الذي هو الله بالذات ، يرعى شعبه بمحبة (٧ : ١٦ — ١٧) . واتخذ الحمل أيضاً سلطات ابن الانسان .

ابن الانسان : في أول مرة ظهر يسوع ليوحنا ، كان ظهوره تحت ملامح ابن الانسان (١ : ١٢ — ٢٠) . بتأثير من دانيال (٧ : ١٣ — ١٤) ، انتظر

المؤمنون في نهاية الأزمنة شخصاً سرياً يتمم مخطط الله، يأتي على سحب السماء بقوة ملوكية ليدين الخلائق. هذا هو يسوع الآن. هو كاهن بلباسه الأبيض وملك بحزامه المذهّب، وشعره الأبيض يشير الى أزليته. صوته قوي ولا شيء يفلت من ناظريه. عيناه شعلتان متقدتان تلجان أعماق القلوب. في فمه كلمة الله كسيف مسنون يفصل، بحكمه القاطع، الخير عن الشر والحب الجيد عن الزؤان.

يسوع هو كالله، **الأول والآخر**. بقيامته دخل في الحياة الحقيقية، لا في الحياة العابرة المهددة دوماً كحياتنا، بل الحياة التي هي ملء الله بالذات. **انه الحي**. وهو يمسك الآن مفاتيح الجحيم ومثوى الأموات. مأساة البشر هي مأساة الموت الذي يطبع وجودنا بطابع لا يرحم. لا حياة الا اذا ارتفعنا فوق الحدث وتجاوزناه. بالنسبة الى يوحنا، فالحي دخل بالقوة يوم الفصح الى مكان الموت وحطم أبوابه، بل أحرقها بنار حياته. فصار الوجود المسيحي انتظاراً للحياة الحقة، لأن يسوع هو بكر المولودين من بين الأموات (١ : ٥). وهكذا دخل عالم الله فصار شاهداً لهذا العالم.

الشاهد الأمين: هنا أيضاً يفهم يوحنا هذه الشهادة (والاستشهاد) في ضوء التقليد الجلّياني ونصوص اشعيا الثاني. بالنسبة الى كاتب رؤيا، الشاهد هو الذي ينعم برؤية الحقائق السماوية، هو الذي يدخل في مخطط الله. حينئذ يستطيع أن ينقل الى اخوته ما رآه وسمعه، لا ليشبع فضولهم الفارغ، بل ليكشف عن معنى الحياة ويولّد الايمان. يسوع شاهد هو لأنه ينقل إلينا كلمة الله، وتتأسس شهادته على الله وعليه وحده. انطلق يوحنا من اشعيا الثاني فتعلم ان الله هو الأساس الأخير لحقيقة الشهادة. يسوع هو الشاهد الحق والحقيقي لأنه دخل في ملء الواقع الالهي. فيه نعرف الاله الخفي، وما لا يُعرف صار وجه بشر، وجماله يرتد على كل وجه بشري، لأن كل تلميذ ليسوع يحمل، على مثال يوحنا، شهادته الى العالم. وهنا أيضاً نلتقي باشعيا الثاني. بالنسبة الى هذا النبي، الشعب شاهد أقامه الله وسط الأمم كعلامة منتصبة تحدثهم عن الله. ويسوع منذ الآن يحمل في شخصه كل دور الشعب، ولكنه يحمل شهادته في العالم بواسطة جماعته. وهنا يلتقي القديس يوحنا بولس الرسول: «نحن نعكس مجد الرب فنتحول الى تلك الصورة، بمجد يزداد على مجد، بالرب الذي هو روح» (٢ كور ٣ : ١٨). «لأن الله أضاء نوره في قلوبنا لكي تشرق مجد معرفة مجده، ذلك المجد الذي على وجه المسيح» (٢ كور ٤ : ٦).

المسيحية ديانة الوجوه. فالمسيحي يحترق من الداخل بهذه النار المشتعلة التي هي رؤية المسيح الممجّد. فيقدم للعالم وجه القائم من الموت. وهذا يقوده مراراً مثل معلمه الى الشهادة العظمى، الى الاضطهاد والاستشهاد. في المسيحية جعلوا من الشهيد بطل الألم، ولكن فكرة يوحنا هي غير هذا. فالشهيد لا يمجد لأنه تألم، بل لأنه تكلم، بل لأنه، على مثال يسوع أمام حكامه، أعلن من هو الله أمام الجميع. وهكذا ينتصر مع يسوع. الى كنيسة اللاذقية قدّم يسوع نفسه انه الشاهد الأمين

الحقيقي (٣ : ١٤)، وختم كلامه: «سأجعل الغالب يجلس معي على عرشي، كما جلست بعدما غلبت مع أبي على عرشه» (٣ : ١٢).

ولكن هذه الغلبة ليست ليوم الغد، بل هي لليوم. منذ اليوم يسوع الشاهد الأمين والغالب يحيا معنا وهو يقف على بابنا يدق ويقول: «ان سمع أحد صوتي، دخلت إليه لأتعشى معه وهو معي» (٣ : ٢٠). ان يسوع سفر الرؤيا ليس كائناً بعيداً لا وصول لنا إليه، لأنه في مجد الآب، بل هو الرفيق الأمين الجالس الى مائدتنا، الحاضر في عبادة كنيسته، والصديق المتطلب الذي يدفعنا الى تجاوز نفوسنا لأنه نار داخلية تحرقنا وتحولنا، لأنه شمس البر الذي ينير وجوه الصديقين. المسيحي هو من يكتشف في أعماق جحيمه وجهاً منفتحاً هو وجه المسيح، وجهاً لا يزال الروح القدس يبيّن لنا ملامحه.

الروح: الروح شعلة مسبقة تتّقد أمام ايقونة الله وعرشه، ونظرة المسيح بأرواحه السبعة. الروح هو قبل كل شيء في هذا الكتاب من يردّد على مسامعنا أقوال المسيح. هو من يحدث الكنائس السبع حين يستجوبها يسوع، وهو من يدعو المؤمنين، كما الآب أبناءه، ليستريحوا من تعبهم في راحة الليل (١٤ : ١٣). وهو خاصة من يحفظ الكنيسة أمينة للمسيح. «يقول الروح والعروس...»، وهكذا فالروح هو الحب الذي يتمتم في قلب الحبيبة الكلمات التي تقولها، وهو من يحفظها أمينة خلال انتظارها الطويل، وهو من يهتف معها: «تعال أيها الرب يسوع».

أيها الساهر، ما الذي ترى في الليل؟

لا أرى شيئاً آخر لا تريدون أن تروه
أعطي لي أن أرى بوضوح
في عالم لا نور فيه.
ماذا ترى يا أخي؟ رأيت عالماً مقسماً الى اثنين.
القسم الشمالي غني والقسم الجنوبي فقير.
يا أغنياء كونوا دوماً أغنياء،
يا فقراء كونوا دوماً فقراء.
أرى الصدع في وسط العالم
ولا من يرأب هذا الصدع.
أرى المدينة مقسمة أحياء.
الحي الغربي غني والحي الشرقي فقير.
رأيت سنتياغو تحت نار الجنود
يحرقون الكتب بنار الدبابات.
رأيت ليما تحيط بها الحواجز.
رأيت شعباً ينام، شعباً غنياً أنعم عليه
وقواه الفكرية عقيمة

ماذا ترى أيضاً يا أخي؟ رأيت امرأة قديمة جداً
كريمة ومحتقرة معاً.
كلهم يعرفونها في المدينة،
لأن بيدها مفاتيح الأحجية.
رأيتها خائفة مرتعبة تدخل في هياكلها.
تخاف أن تشرب دم الحمل.
سالمت قيصر وسدت أذنيها
حين تسقط القنابل، بل وحين يُسيل السلاحُ الدموع.
لهذا تخلّى عنها الكثيرون
وبرد الحب عند العدد الكبير.
ماذا ترى يا أخي؟ رأيت مجد الله يترك المدينة
لا أحد يذكر اسمه، ومنابره فارغة
العشب ينمو في أماكن العبادة.
رأيت أناساً يمشون ويتلمسون طريقهم.
يطلبون خبزاً وماء
وليس من يعطيهم.

يبحثون عن معنى الحياة
على طرقات الهند والشمس
في ذلك الزمان، سيكون جوع لمعرفة معنى الحياة
أشد من أي جوع أحسسنا به
ماذا ترى أيضاً يا أخي؟ أرى يسوع متخفياً.
هو على باب المدينة.
يقرع باب المدينة.
يموت على باب المدينة.
مسح دموع ولد
وحدث العامل بلغته.
حينئذ رأيت مجد الله
يعود الى المدينة.
ولكن يسوع رفض دخول المدينة
قبل أن يدخلها آخر اخوته.
ماذا ترى يا أخي؟ رأيت رفاق الحمل
الذين يتبعونه حيثما يذهب.
الذين ماتوا قتلاً منذ عشر سنوات
الذين حاربوا من أجل العدالة
ومن أجل كرامة شعبهم.
اسمهم كتب في سفر الحياة
وتذكّره الشعب وأنشده
سأل الصخافي:
الى متى يدوم هذا؟
فأجيب:
الى أن يفيق الشعب من غفلته
وأن يمتلئ كأس الغضب.

ماذا ترى يا أخي؟ رأيت امرأة تنطلق مع ابنها الى
الصحراء
لتعود الى ذاتها فتستعيد شبابها
زمناً ونصف زمن
لتجد من جديد حب شبابها.
تصوم عن أحلام قوتها
وعن زينة أمجادها.
هنا ستكتشف من جديد طعم الماء والملح والخبز
تتعرف الى شعوب الصحراء
المحكوم عليهم في الأرض.
رأيت نهوض بعض أناس تستند إليهم الأرض
الأبرار، عواميد الكون
الفنانون الذين أنقذوا جماله
والنساء المتشفعون الى الله.
ماذا ترى بعد يا أخي؟ أرى المدينة الجديدة،
الأرض الجديدة
تلك التي تحوم في كل أحلام البشر
مدينة مفتوحة كلهم فيها يعبرون
مدينة مفتوحة كلهم فيها يأكلون ويتكلمون
ما رأيت فيها هيكلاً.
وما رأيت فيها نوراً
لأن الحمل نورها وهو يقيم فيها.
ستتصالح الشعوب
وابنة صغيرة تبدأ بالرقص
فالروح والعروس هتفا:
«تعال أيها الرب يسوع، تعال».

محتويات الكتاب

أنجزت مؤسَّسة دكَّاش للطباعة
طباعة هذا الكتاب في الخامس عشر
من حزيران ٢٠٠٦

١٣١٩ - ١ - ٢٠٠٦/٦/١٥